بحث رقم ١٧

الشيخ محمد محمود الصواف ومنهجه في تفسيره فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن تفسير وبيان: دراسة وتحليل

د. ليث سعود جاسم*
د. إيمان محمد عباس*

مقدمة:

يتناول هذا البحث دراسة تفسير الشيخ الصواف المعنون: (فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن) وقد درج العلماء في القديم والحديث أن يفردوا سورة ما بالتفسير، أو يفردوا جزءاً من أجزاء القرآن بالتفسير، ولكنْ في هذا التفسير جمعٌ بين فاتحة الكتاب وخاتمة الكتاب لإعجاز يراه المؤلف رحمه الله.

وسنبيِّن ذلك في سطور البحث، وأما المؤلف فهو عَلَمٌ من أعلام الإسلام، عاش القرنين الهجريين الرابع عشر والخامس عشر، وعاصر أحداثهما، بل ساهم في صناعة التاريخ في العراق وخارجه، ألا وهو الشيخ محمد محمود الصواف، وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومحورين وخاتمة.

المقدمة تتضمن التعريف بالبحث. وتمهد الكلام عن عصر المؤلف ودوره فيه.

المحور الأول: يتعرض للتعريف بالمؤلف، وحياته الشخصية والعلمية، ودوره في عصره، ويتكوَّن من ثلاثة مباحث.

المحور الثاني: يتعرض للكلام عن منهج الشيخ الصواف في تفسيره دراسة تحليلية.

والخاتمة: تتضمن نتائج البحث. وأسأل الله أن يوفق للخير.

---

* الأستاذ المشارك في قسم دراسات القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
* المحاضرة في قسم اللغة العربية والحضارة (شعبة الحضارة الإسلامية)، الجامعة الوطنية الماليزية.

المحور الأول
الشيخ الصواف نشأةً وتعريفاً وحركةً

مدخل:

سيتناول هذا المحور التعريف باسمه ونسبه ودراساته الأولى، وبناؤه العلمي وإنتاجه الثقافي والدعوي.

المبحث الأول: أسرته ودراسته الأولية

اسمه ونسبه: هو الشيخ محمد محمود الصواف الملقب بجمال الدين، وينتسب إلى قبيلة طي، وهي جزء من شمّر، وقد نزحت قبيلته من حائل الجزيرة إلى الموصل قبل أكثر من مائتي عام[1].

وولد في الأول من شوال (١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤/٨/١٢م)، وتربَّى في أسرة صالحة، لها مكانتها الاجتماعية، فوالده كان يعمل بتجارة الصوف، ولقبت الأسرة بلقب المهنة التي تمتهنها، فضلاً عن اهتمام أسرته بزراعة الحنطة والشعير[2].

ويقول الشيخ الصواف: "وكان أبي قد تزوج امرأة من أقاربه، فولدت له ستة أولاد، ثم توفيت فتزوج والدتي، وولدت له أكثر من عشرة أولاد"، وكان الشيخ ترتيبه الرابع عشر في الأسرة[3].

وإن أسرته كانت تحب دولة الخلافة العثمانية، وكذلك أهل الموصل الذين دافعوا عن الأتراك، وآووهم عند ما تتبعهم الإنجليز بعد احتلال العراق. ويقول بأن اثنين من إخوانه خرجا لجهاد الإنجليز في إستنبول، واستشهد الكبير واسمه فتحي، ورجع الآخر واسمه علي[4]. ويقول الصواف: "هكذا كانت نشأتنا في أسرة متواضعة، متحابة فيما بينها، قوية الصلات بجيرانها"[5].

ولا ندري متى تزوج الشيخ الصواف؟ فلم يذكر ذلك في كتبه، ولكنه رُزِقَ بخمسة أولاد وثلاث بنات، وأكبرهم الدكتور مجاهد الذي يعيش في جدة، وله مكتب محاماة هناك وزرته فيه. وأبناؤه الآخرون مصلح، ومنقذ، ومرشد ... ومبشر ...

---

[1] انظر الشيخ محمد محمود الصواف: **من سجل ذكرياتي** (القاهرة، دار الخلافة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م): ٢٣.

[2] انظر المصدر نفسه: ٢٣، ٣٣.

[3] انظر المصدر نفسه: ٣٣.

[4] انظر المصدر نفسه: ٣٣.

[5] انظر المصدر نفسه: ٣٤.

دراساته الأولية:

كان المسجد هو المدرسة الأولى في كل زمان ومكان، تنشأ فيه الأجيال وتتربى، ويقول الشيخ: "المسجد هو الذي يربي الرجال، وأول مسجد قصدته، ونشأت فيه هو مسجد الرضواني، ثم مسجد سوق الحنطة، وقرأت القرآن على يد رجل من البادية اسمه الحاج ياسين رحمه الله، وكان مشرق الوجه كأنه البدر، وكان يقول لي دائماً: يا ولدي! جعلك الله من العلماء العاملين. وأرجو أن تكون هذه الدعوة قد أصابتني"[1]. وكان الشيخ الصواف يدرس عند الشيخ صالح الجهادي في مسجد باب الطوب، وتميز بأنه جمع بين التعليم المسجدي والتعليم الحكومي، فكان يدرس المدرسة الابتدائية في الليل، وفي النهار يدرس في المساجد. فبرع في علوم الفقه والأصول والفتاوى والشعر والأدب[2].

ثم تنادى العلماء في الموصل لتأسيس مدرسة دينية ينتخب لها اثنا عشر طالباً، وكان من ضمنهم الشيخ الصواف، وكانت مدة الدراسة ٦ سنوات، وأسميت بالفيصلية، ويديرها مؤسسها الشيخ عبد الله النعمة، وكان مكانها في المسجد الكبير في الموصل المسمى بجامع الحدباء؛ لأن منارته محدبة ومائلة، وسميت مدينة الموصل بالحدباء نسبةً إلى المنارة[3].

وفي سنة (١٩٣٦م) تخرج الشيخ الصواف في المدرسة الفيصلية، وأخذ الإجازة العلمية، ومنح لقب (جمال الدين)، وهو عرف درج عليه العلماء عند تخريج طلبة العلم، وكان هذا الحفل هو آخر حفل تمنح فيه إجازة لأربعة من العلماء، وقرأت الإجازة مسلسلةً إلى الرسول ﷺ [4].

أهم شيوخه في هذه المرحلة[5]:

وقد تتلمذ الشيخ الصواف على أشهر علماء زمانه في الموصل، وهم: الشيخ عبد الله النعمة، وكان أعلم أساتذته، ويجله ويثني عليه. والشيخ صالح الجهادي. والشيخ محمد طاهر أفندي. والشيخ عبد القادر أفندي. والشيخ أحمد سعد الدين.

---

[1] انظر الشيخ الصواف: **من سجل ذكرياتي**: ٣٣.

[2] انظر الشيخ الصواف: **من سجل ذكرياتي**: ٢٤، ٢٥.

[3] المصدر نفسه: ٣٦، ٣٩.

[4] المصدر نفسه: ٤١.

[5] المصدر نفسه: ٣٩، ٤٠.

المبحث الثاني: بناؤه الثقافي والفكري

دراسته العليا وتفوقه فيها:

وفي سنة ١٩٣٩م اختارت مديرية الأو قاف مجموعة من العلماء للسفر إلى الأزهر للتخص، فقبل في كلية اللغة العربية، ولظروف الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠م) رجعت البعثة إلى العراق، ولم تتح فرصة الاستمرار للذين يقدرون دور العالم في المجتمع، والحاجة الماسة لوجود دعاة وخطباء أهل علم ووعي أن يختار له عشرة علماء، ليذهبوا إلى استكمال دراستهم الأزهرية، فاختار الشيخ الصواف المجموعة وكانوا من العرب والأكراد، وشغلت الرواق العراقي ليكون سكناً دراسياً لطلاب البعثة، والذي استمر، وقد زار الباحث الرواق أثناء الدراسة في الأزهر، وكان يسكنه بعض الطلاب من الأكراد1.

عند ما انتظم الشيخ الصواف في كلية الشريعة، طلب من إدارة الأزهر أن تسمح له بإنهاء المرحلة في سنتين بدل أربع، على أن يمتحن كل سنتين في سنة واحدة، فأتم التخصص في سنتين، والعالمية في سنة واحدة، فأتم المرحلتين بتفوق. فكان أمراً أثار ضجةً أغضبت الشيخ حمروش أحد كبار هيئة العلماء، فقال لي: (إيه.. ده، تريد أن تطوي الزمن طيًا؟)، فشكلت لي لجنة امتحان ضمت أربعة من المشايخ، وامتحنت لمدة ثلاث ساعات فنجحت، ولكن ألغيت النتيجة، وامتحنت تحريرياً امتحاناً إضافياً، وكان رئيس اللجنة الشيخ محمد علي السايس عضو هيئة كبار العلماء وصاحب كتاب (آيات الأحكام)، ونجحت أيضاً، وأصدر الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الأزهر قراراً بنجاحي، وعند ما زرته استقبلني وقال: "يا بني! فعلت ما يشبه المعجزة، وسننت سنة في الأزهر لم تكن"2.

شيوخه في الأزهر3:

ومن العلماء الذين درس عليهم الشيخ الصواف في الأزهر، ولا شك أنه درس على غيرهم، ومنهم:

- الشيخ حمروش شيخ الكلية، وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر.
- الشيخ محمد علي السايس عضو هيئة كبار العلماء ومؤلف كتاب آيات الأحكام.

[1] المصدر نفسه: ٩٦، ١٠١

[2] المصدر السابق: ٩٨، ٩٩.

[3] الشيخ الصواف، **من سجل ذكرياتي**: ٩٨-٩٩، ١٠٦.

◈ الشيخ أحمد أبوسنة، وهو أستاذه في علم أصول الفقه، وكان عضواً في مجمع الفقه الإسلامي.

إنتاجه العلمي:

على الرغم من انشغال الشيخ الصواف بأعمال الدعوة ومسؤولياتها، فإن الدور التوجيهي والتربوي يتطلب جهداً دعوياً في التأليف والكتابة، فلذلك كان للشيخ الصواف إنتاجه العلمي المتنوع، والذي كان أغلبه يصب في معالجة قضايا الأمة بشمولية الإسلام، فأصدر أربعة وعشرين كتاباً، وعشرات المقالات في مجلة الأخوة الإسلامية، ومجلة اللواء الإسلامي وغيرها. وكانت مؤلفاته تعالج قضايا الفكر الإسلامي وما يتعلق بها، وهي كالآتي:

مؤلفاته في التفسير:

ومن أهم دراساته في القرآن وعلومه: تفسيره "فاتحة الكتاب وجزء عمّ الخاتم للقرآن تفسير وبيان"، وهو موضوع الدراسة، وأما كتبه الأخرى فتصب في خدمة علم التفسير، وهي كالآتي: القرآن الكريم آثاره، أنواره، فضائله، أوصافه، خصائصه، آدابه؛ أم القرآن وخير ثلاث سور في القرآن؛ نظرات في سورة الحجرات؛ من القرآن إلى القرآن.. الدعوة والدعاة؛ القيامة رأي العين؛ عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين.

مؤلفاته في الفكر والدراسات الإسلامية:

وهذه المؤلفات منها ما هو في الفقه والدعاء والدعوة والفكر الإسلامي، وهي: تعليم الصلاة. الصيام. نداء الإسلام. زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن. أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب. بين الرعاة والدعاة. المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام. معركة الإسلام أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم. الإسلام وعلم الفلك. رحلاتي في العالم الإسلامي. العلاّمة المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين. من سجل ذكرياتي. صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات. دعاء السحر والمناجاة. لا اشتراكية في الإسلام. مقدمتان.

صفاته وفضله:

كان الشيخ الصواف يتميز ببسطة في الجسم، وجمال في الصورة، وجهورية في الصوت، مع أناقة في المظهر، وكان ذا تواضع جم، وذا هيبة عند العدو والصديق، لا يتأخر عن موقف من مواقف المروءة والشهامة، فكان كريم النفس واليد، يجود بكل ما عنده في سبيل الإسلام

والمسلين، وهذا بشهادة كل من عرفه عن قرب، أو رافقه في أسفاره، ولقد كانت له مواقف بطولية، تمثلت فيها العزة والإباء والصلابة والرجولة والجرأة والصراحة، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، صادق في نصيحته، واضح في عبارته، كان خطيباً من خطباء العصر، وأحاديثه وكلماته ومصنفاته تلهب الحماس وتستجيش المشاعر، وكتابه (صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات) يشهد بذلك، وقد لمسنا ذلك منه ورأيناه، يحرك الجماهير فيحمسهم أو يبكيهم، ويجعلهم مقبلين على ما يريد، جاهد في فلسطين، وأصلح بين الأفغان، ونصح الحكام في السر والإعلان، كانت له روح الشباب والفتوة وعزيمته لا تلين ولا تضعف أمام العقبات والمغريات.

كان الأستاذ الصواف مدرسة قائمة بذاتها، هابه الطغاة وأحبه الناس، فقد كان صادق اللهجة، طيب اللقب، ودوداً إلى الصغير والكبير، يعيش هموم الناس ومشكلاتهم، ويتفاعل مع الأحداث التي تواجه المسلمين في كل أقطارها، ويبذل قصارى جهده في علاجها وحل معضلاتها1. وتكفيه شهادة حب الشيخ أمجد الزهاوي له وثقته به، وكان لا يناديه إلا بكلمة "يا أخي الصواف"2. والشيخ حسن البنا الذي كان كما يقول الشيخ الصواف: "كان يستقبلني استقبال الوالد لولده، والأخ لأخيه"3. وأما شيخه الأول الذي أجازه بالإجازة العلمية الشيخ عبد الله النعمة الموصلي فقد أهدى صورته للشيخ الصواف وكتب عليها: (هدية إلى النجيب محمد محمود الصواف) وهو الذي لقبه بجمال الدين. قال الشيخ علي الطنطاوي: لا تسألوا عن صوفهِ أو قطنه فمن الصّفا أسمَوه بالصَّوَّاف4

الشيخ الصواف يرى سيدنا حمزة ﷺ:

من أكبر الفضائل التي تضاف إلى أعماله الفضيلة التي قام بها في حياته الدعوية رؤيته لشهداء أحد وإعادة دفنهم. ذكر ذلك الدكتور طارق السويدان في سلسلته القيمة: "قصة النهاية" نقلاً مباشراً عن فضيلة الشيخ محمود الصواف الحادثة العظيمة التي تشرّف بها بعض العلماء في إعادة دفن شهداء أحد، وكيف انهم شاهدوا الصحابة ﷺ بعد مضي ١٤٠٠ سنة من

---

[1] وانظر عبد الله عقيل سليمان العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة** (القاهرة، دار النشر والتوزيع الإسلامية، ط١٠ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ٢: ٢-٢١١-٢١٣.

[2] الصواف، **العلامة المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين** (القاهرة، دار الاعتصام د.ط، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م): ٤.

[3] انظر: محمد محمود الصواف، **من سجل ذكرياتي**: ١٠١.

[4] محمد محمود الصواف: **الإسلام وعلم الفلك**: ١٠.

استشهادهم، وكيف أن أجسادهم باقية كما هي لم تتغير و لم تتعفن و لم تتحلل مصداقاً لبشرى الحبيب المصطفى ﷺ للشهداء: «أن الأرض لا تأكل أجسادهم». يقول الدكتور طارق سويدان: وقد حدثنا الشيخ محمود الصواف رحمه الله، أنه دُعي فيمن دُعي من كبار العلماء، لإعادة دفن شهداء أحد من الصحابة ﷺ في مقبرة شهداء أحد المقبرة المعروفة، التي أصابها سيل فانكشفت الجثث، فدعي مجموعه من كبار العلماء لإعادة دفن هؤلاء الصحابة، ويحدثنا الشيخ محمد محمود الصواف: أنه حضر ذلك بنفسه فيقول: ممن دفنت حمزة ﷺ فيقول: ضخم الجثة، مقطوع الأنف والأذنين، بطنه مشقوق، وقد وضع يده على بطنه". ويقول: "فلما حركناه ورفعنا يده سال الدم". ويقول: "دفنته مع من دفنت من صحابة النبي ﷺ من شهداء أحد"1. وقد سمع الباحث من الشيخ هذا الخبر سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م. فهنيئاً للشيخ الصواف بهذه الرؤية، فشرفُ الناظرِ من شرفِ المنظورِ إليهِ.

المبحث الثالث: الصواف وحركة الحياة

مرحلة العمل الدعوي في العراق:

بدأ النشاط الدعوي في الموصل، ثم انتقل إلى بغداد سنة (١٩٤٦م) بعد رجوعه إلى العراق بحمل درجة عالمية، وهي تعادل الدكتوراه في زماننا هذا.

وخُيِّرَ في العمل بين وزارة العدل قاضياً يتقاضى راتباً قدره (٧٥ ديناراً) ووظيفة مدرس في كلية الشريعة ويتقاضى راتباً قدره (٢٥ ديناراً)، ففضَّل أن يكون مدرساً فاختار التدريس لأنه وسيلة دعوية2.

وانطلق الشيخ الصواف يعمل مع الجمعيات الموجودة، مثل جمعية الشبان وجمعية الهداية الإسلامية – التي يرأسها الشيخ كمال الدين الطائي – وجمعية الأدب الإسلامية، واشترك الشيخ الصواف في جميع هذه الجمعيات لإيمانه بوحدة العمل الإسلامي، وكان الشيخ أمجد الزهاوي يرأس هذه الجمعيات3.

---

[1] **مقالة** لطارق السويدان في الإنترنت منقولة من منتدى الساحات الإلكترونية.

[2] الشيخ الصواف: **صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق**، (القاهرة، دار الاعتصام ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م): ١٨.

[3] الشيخ الصواف: **العلامة المجاهد أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين** (القاهرة، دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٤م).

جمعية الأخوة الإسلامية بداية الطريق:

ولكن تحريش الشيطان وسوسته للبعض في جمعية الهداية في أن يبعد الشيخ الصواف بسبب توجهه الفكري، فكان الشيخ كمال الدين الطائي قومي التوجه فاصطدم بالتوجه الدعوي للشيخ الصواف1. فانحازت مجموعةٌ بقيادة الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ الصواف والشيخ محمد القزلجي ومحمد طه الفياض ومحمد عاصم نقيب الأشراف والشيخ إبراهيم الأيوبي، وأنشئت جمعية الأخوة الإسلامية، وحمل طلب التأسيس الشيخ أمجد الزهاوي إلى نوري سعيد رئيس وزراء العراق آنذاك، والذي لم يكن يرد طلباً للشيخ أمجد، فتمت الموافقة، وانتخب الشيخ أمجد رئيساً، والشيخ الصواف أميناً عاماً. وأصبحت هذه الجمعية هي المحضن الدعوي، ومنطلقاً للتحرك في جميع أنحاء العراق شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، وبخاصة أن شيخ علماء العراق ودُرَتَه أمجد الزهاوي الكردي يقودها، وكان أمجد إذا قال كلمة أو أفتى فتوى فلا يردها أحد. وانطلق الصواف يطوف بالعراق، وينشر الدعوة ويفتح الشُعَب، ويطبق البرامج التربوية الروحية، وأقبل الشباب عليها من كل المستويات والأماكن رجالاً ونساءً، فتياناً وفتياتٍ، وأسس معها جمعية الأخت المسلمة برئاسة الحاجة نهال الزهاوي ابنة الشيخ أمجد2.

نشاطه في الجمعيات الإسلامية:

كان الشيخ الصواف منذ فتوته المبكرة شخصية تحب عمل الخير، وصاحب نخوة وعزة، فلذلك ما أن تنادى علماء الموصل، وعلى رأسهم شيخه عبد الله النعمة، وذلك في الثلاثينيات من القرن الماضي، بإنشاء جمعية الشبان المسلمين فرعٍ للجمعية الأم في بغداد، قَبِلَ ذلك لتكون وسيلةً للإصلاح الفكري والاجتماعي، ولتكون رداً عملياً على موجة التقليد للغرب التي ظهرت بعد الاحتلال الإنجليزي3.

وكان هذا دافعاً له عند ما ذهب إلى مصر للدراسة إلى الاتصال بالجمعيات الإسلامية في مصر وزار كل الجمعيات، وأولها جمعية الإخوان المسلمين وجمعية الشبان المسلمين وجمعية أنصار السنة، فضلاً عن رجال الأحزاب الوطنية مثل: مصر الفتاة وجمعية الأخوة الإسلامية التي يرأسها الشيخ طنطاوي جوهري، وكان هذا في رحلته الأولى في مصر سنة ١٩٣٩م4.

[1] الشيخ الصواف: **من سجل ذكرياتي**: ١٠٩.

[2] الشيخ الصواف: **تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق**: ٢٤ – ٢٥.

[3] الشيخ الصواف، **من سجل ذكرياتي**: ٤٠.

[4] الشيخ الصواف، **من سجل ذكرياتي**: ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٦.

وعند عودته سنة (١٩٤٠م) إلى العراق انطلق في النشاط الدعوي في الموصل، من خلال جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يشاركه ثلاثة من الوجهاء هم: عبد الرحمن السيد محمود، وعبد الرحيم ومحمود الرِّحيِّم، واقترح الإخوة تغيرها إلى الإخوان المسلمون، فرفضت الحكومة ذلك، وعند ما استشار الشيخ البنَّا فأجاب بأنه لا عبرة بالأسماء وإما بالمسمَّيات1.

الصواف وقضايا الأمة:

توسع العمل الإسلامي، ونشط في التفاعل مع قضايا الأمة في العراق وغير العراق، فبدأت جمعية الأخوة توعية الأمة بحقوقها، فلذلك كتبت المقالات، وخرجت المظاهرات تطالب بإلغاء معاهدة (بورت سموث) التي تضمن لبريطانيا البقاء في العراق.

وكان الشيخ الصواف يقود المظاهرات، ويحمل على الأعناق، ويخطب الساعات "وهو أول من أنزل العمائم في الشارع السياسي العراقي، فكان طلاب كلية الشرعية يشاركون في المظاهرات بعمائمهم في الاحتجاج على معاهدة بورت سموث، ومشاركاً لكل الأحزاب العراقية، واشترط عليهم أن تكون بقيادته فوافقوا على ذلك"2.

أما قضية فلسطين ـــ بعد وعد بلفور المشؤوم ـــ فقد أسست لها جمعيات منها (جمعية إنقاذ فلسطين) وجمعية (الفلس) لمساعدة المجاهدين والمهاجرين الفلسطينيين، وشكل ثلاثة أفواج من المتطوعين للجهاد، وقاد ذلك بنفسه3.

وأما قضية الجزائر فكانت جمعية الأخوة الإسلامية تخرج مظاهرات ضد فرنسا، وقد دعت الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس رابطة علماء الجزائر لزيارة العراق، فأقامت له الاحتفالات، وجمعت تبرعات وذلك سنة (١٩٥٢م).

وهكذا أعطت جمعية الأخوة الإسلامية دليلاً للأمة على وحدة الأمة الإسلامية، وأن المسلمين جسد واحد4.

---

[1] المصدر نفسه: ٦٣-٦٤.

[2] **لقاء خاص مع الدكتور مجاهد الصواف في جدة بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٧م**. وانظر الشيخ الصواف: **من سجل ذكرياتي**: ١٤٢. وذكر ذلك الأستاذ يوسف العظم عند ما قدم لكتاب نداء الإسلام وهو الذي كان يحمل الشيخ على كتفه في المظاهرات مع طلاب كلية الشريعة عندما كان يَدرسُ في العراق. وانظر عبد الله عقيل سليمان العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**: ٢١٣.

[3] الشيخ الصواف، **من سجل ذكرياتي**: ٨٢، ١٦٨، ١٦٩.

[4] المصدر نفسه: ٣٩٩ – ٤١٨، وانظر عبد الله عقيل سليمان العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**: ٢١٠.

وقد تنبهت الدوائر الغربية لدور الجمعية فأخذت الأمر بجدية وذلك عندما رأت أن الوزارات المتعاقبة والموالية لها كانت تسقط بالمظاهرات والضغط الشعبي الذي تقوم به الجمعية لدرجة أن مدير التشريفات الملكية قال للشيخ الصواف: "والله لا أدري لماذا يخافك الحكام ويرونك كالبعبع؟! فأجابه الشيخ الصواف: أنا لا أملك سلاحًا، ولا أريد أن أحارب أحداً وهل أنتم بعيدون عن الله حتى تحاربوا هذا الفكر الإسلامي، سيروا على منهاج الله، ونحن لا ننازعكم في الحكم، بل نريد حكم الله"[1].

الصواف والوحدة الوطنية في العراق:

يُعَدُ الدور الذي مارسته الحركة الإسلامية في العراق نموذجاً لتعبئة الأمة في مواجهة أعداء الإسلام، و لم يحل ذلك دون موقف موحد يفرضه عليهم ولاءهم لهذا الدين، بعيداً عن أي حس طائفي غالٍ أو عرقي متعالٍ. يقول الأستاذ الصواف مشخصاً الحالة العراقية في تلك الفترة بقوله: "والواقع أن المشاكل التي وجدناها في العراق ليست بالمشاكل السهلة، ولكن الله سلَّم، ولذلك لم تقع بيننا وبين الطوائف الدينية الأخرى أية مصادمات، فقد تجنبنا كل مصادمة مع الطائفيات والحزبيات الأخرى، وحتى الذين حاربونا لم نحاربهم بالعنف الذي حاربونا به، بل قابلناهم بالحسنى"[2].

الشيعة: "وكنا نتعاون مع علماء النجف الأشراف الكبار، وذهبت مع الشيخ أمجد عدة مرات للتعاون على نصرة الإسلام، وخصوصاً عند ما انطلقت الشيوعية، وكان المجتهد الأكبر محسن الحكم قد أصدر فتوى يكفر فيها من اعتنق الشيوعية وكانوا كلما اجتمعنا لأمر إسلامي كانوا معنا"، وأول اجتماع عقده علماء العراق سنةً وشيعةً، عرباً وكرداً، كان في جامع الإمام أبوحنيفة في الأعظمية، كل ذلك لأجل قطع الطريق على الشيوعية، لكيلا تعبث في الأرض فساداً، وقد كان[3].

ويقول الدكتور المجاهد الصواف: "إنه كانت العلاقات وثيقة معهم وكنت أرافق الوالد – رحمه الله– إلى النجف وزياراته إلى الأهواز وبخاصة مدينة الجبايش... وكان الوالد يزور كثير من الطوائف الغالية من الشيعة حول الموصل مثل الشبك وغيرهم، وكثير منهم ترك عقائده

[1] المصدر نفسه: ١١٥.

[2] الشيخ الصواف: **من سجل ذكرياتي**: ١٤٢.

[3] المصدر نفسه ١٣٤ – ١٣٥، وانظر محمد محمود الصواف: **العلامة المجاهد أمجد الزهاوي**: ٤٨.

وصلح حاله"1.

اليزيديون: وهم طائفة تعبد الشيطان ويسكنون في قرى خاصة حول الموصل ولا يستخدمون في كلامهم حرفي السين والشين لأنها تعني الشيطان، ويقول الدكتور المجاهد الصواف: "وكان الوالد يزور اليزيديين في قراهم وكانت له علاقة قوية بهم ويحترمه زعمائهم وكانوا إذا زرناهم يعطوننا السكين والذبيحة لنذبح بأنفسنا وأسلم على يد والدي بعض اليزيدية"2.

التعاون مع النصارى ضد الشيوعية:

مدينة الموصل مدينة تاريخية قديمة، وتوالت عليها حضارات متعددة، وكانت مركزاً للملل والنحل المختلفة والفرق الدينية المتعددة، فما من فرقة إلا ولها مجموعة، وقد بلغ عددها أربعمائة3، وبخاصة أديرة النصارى، وكلها عاشت في ظل الحضارة الإسلامية، وإلى الآن يمارسون حياتهم في المجتمع الموصلي الذي يختلف عن غيره في المجتمعات العراقية في تركيبته الاجتماعية والدينية، مما أعطت له خصوصية مميزة؛ لأنها مركز الزعامات النصرانية في العراق.

والشيخ الصواف يعطينا نموذجاً في تعامل المسلم مع مجتمع متعدد الإثنيات والأديان في التعايش والتنسيق في القضايا المهمة، لذلك كانت المدرسة الدعوية لها خبرة في التعامل مع هذه الأطياف، وكان الشيخ الصواف يشكل نموذجاً مبكراً للحركة الإسلامية في تعاملها مع الآخر في إطار الثوابت الإسلامية.

فلذلك كان له مع النصارى تعامل أخص، فكانت للشيخ الصواف علاقات قوية مع الكرادلة والمطارنة وهم القيادات الدينية النصرانية. وكان ينسق معهم في المواقف العامة الخطيرة في المجتمع العراقي يقول الدكتور المجاهد الصواف4: "كان والدي يزور النصارى في الأديرة والكنائس، وبخاصة وقت صراع مع الشيوعيين الذين كانوا يكفرون بالأديان جميعها، فزار مثلاً الكاردينال (روفائيل بيداويد)، وكان مطراناً في ذلك الوقت، وقد كنت رسولاً لوالدي إلى

---

[1] **لقاء خاص مع الدكتور المجاهد الصواف في جدة بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٧م.**

[2] **لقاء خاص مع الدكتور مجاهد الصواف في جدة بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٧م.**

[3] وقد ذكر ذلك أستاذنا الدكتور محمد حامد الطائي الموصلي رئيس قسم الجغرافيا في جامعة بغداد عندما كان يدرس لنا مادة جغرافية العالم الإسلامي في كلية الدراسات الإسلامية وذلك في عام ١٩٧٤م.

[4] **حديث شخصي في جدة، الأحد، ٢٠٠١/٩/١٧م.**

المطران لإبلاغه بالفتوى بعدم جواز دفن الشيوعيين في مقابر المسلمين والنصارى، وذلك بعد ثورة الشواف عام (١٩٥٩م)".

ويقول بأنه كانت لهم زيارات عائلية لهم وبخاصة، فإن والدة المطران كانت تدعوهم إلى أكل الكُبّة الموصلية (وهي أكلة مشهورة).

المواجهة والهجرة:

بدأت في هذه المرحلة ظهور الشيوعية في العراق، وكان لليهود الدور الكبير في ذلك لمواجهة المد الإسلامي في العراق ومصر والشام وغيرها[1].

يقول الشيخ الصواف: "إن الذين نشروا الشيوعية هم الإنجليز، وإن الأحزاب الشيوعية مرتبطة بهم، وكان مؤسس الحزب الشيوعي رجلاً نصرانياً، اسمه فهد من أهل الموصل، كان مرتبطاً بالسفارة البريطانية التي كانت تدفع لهم، واليهود كانوا خلف هذا النشاط"[2].

فكانت هناك مواجهة على نطاق الأعلام والشائعات، ثم كانت الثمرة أن قامت الثورة عام ١٩٥٨م والتي استطاع الشيوعيون توجيهها، ثم بدأت المواجهة لقتل الإسلاميين ومن يؤيدهم سحلاً بالحبال، أو إعداماً على أعمدة النور، وسجن الشيخ خمسة أشهر، وعُذِّب وهُدِّد بالقتل، وذلك مما جعل إخوانه يشيرون عليه بالخروج إلى خارج العراق تأميناً لشخصه وللدعوة التي أصبحت مستهدفة من خلاله، وكان ذلك في سبتمبر عام ١٩٥٩م بعد الخروج في رحلة شاقة تحفها المخاطر[3] ومضى القضاء بذلك و لم يعد الشيخ الصواف إلى العراق بعد ذلك مع أن صدام حسين قد رفع المنع عنه، ولكنّ الشيخ الصواف لم يستجب لهذه المبادرة لعدم اطمئنانه وقد سمع الباحث ذلك منه.

مرحلة الصواف والعمل العالمي:

وهذه مرحلة جديدة في حياة الشيخ الصواف، حيث خرج إلى الشام، ثم إلى الأردن، ثم ضيّق على السلطات فيها، فذهب إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٦٢م بدعوة من الملك فيصل -رحمه الله-، وقام الشيخ الصواف رحمه الله بأدوار عظيمة على النطاق العالمي، فأصبح

---

[1] انظر محمد محمد سليمان: **مذكرات شيوعي اهتدى**، الخرطوم، ١٩٧٦م: ١٠ – ١٢.

[2] الشيخ الصواف: **من سجل ذكرياتي**: ١٤١، ٢٤٢.

[3] المصدر نفسه ١٥٧- ١٥٨، ٢٨٠- ٢٨٥، انظر: طارق الأعظمي، **نشوء الحركة الإسلامية السنية المعاصرة في العراق**، مقالة في موقع www.islamonline.net قسم ثقافة وفن.

شخصية مرموقة، وكان دائماً سفيراً لإصلاح ذات البين، فكانت له رحلات في عموم العالم الإسلامي يدعو للتضامن الإسلامي، ولنصرة قضايا الأمة الإسلامية، كقضية كشمير، والفليبين، وقبرص، وقضية أفغانستان، والأقليات الإسلامية، وكانت إسهاماته في العمل المؤسسي الرسمي والشعبي في بناء المؤسسات التي كان لها دوراً في سياسات العالم الإسلامي، وحل القضايا والتحديات التي تواجهه، ومن ذلك: إسهامه في تأسيس (رابطة العالم الإسلامي) لإيجاد روابط الأخوة والمحبة بين المسلمين وحل المشكلات، و(المجلس العالمي للمساجد)، وذلك لبناء المساجد في عموم العالم الإسلامي، وبيان أهميته في تقوية الروابط بين المسلمين، وكان هو الذي أشار على الملك فيصل –رحمه الله– في إنشاء (منظمة المؤتمر الإسلامي) لإيجاد فرص تفاهم بين الدول الإسلامية، لحل المشاكل السياسية التي تواجهها، وحل القضايا من خلال المجامع الدولية، وكذلك من المؤسسين لمجمع الفقه الإسلامي لمواجهة التحديات، وإيجاد الحلول للمعاملات والحوادث المستجدة، وإيجاد الحلول لها مثل الجوانب الاقتصادية والطبية الاجتماعية.

ومن الإسهامات المهمة دخوله في تجربة الإنتاج السينمائي لإدراكه أهمية الإعلام والفن في التأثير على المجتمعات، فأسّس (شركة صوت الحق للإنتاج السينمائي والصوتي)، وكان له صلة في الوسط الفني، وكان يشجعهم وينصحهم بالرجوع إلى الله، فتأثر به بعض أولئك الفنانين مثل فريد شوقي وياسمين الخيام ومحمود خيري، وقد أنتجت هذه الشركة سلسلة أفلام للأطفال، وسلسلة عظماء الإسلام، ومقابلات مع شخصيات.

وفي أواخر حياته بذل جهوداً في إنشاء مراكز تحفيظ القرآن في تركيا لإخارج جيل جديد يرتبط بالقرآن، وكانت وفاته بعد زيارة لهذه المراكز في تركيا.

مسك الختام إلى الرفيق الأعلى:

وبعد رحلة دامت ثمانين عاماً في ميزان الأعمار، ولكنها مئات السنين في ميزان الأعمال، بعد انتهائه من رحلة تفقديه لمراكز القرآن في تركيا التي كان يزورها في كل صيف، وكانت هذه سياحته الصيفية، بينما كان ينتظر الطائرة هو وزوجته الصابرة للرجوع إلى مكة المكرمة، صعدت روحه إلى باريها؛ وهو جالس على كرسيه؛ تقول زوجته[1]: كنت أنظر إليه وبيده

[1] اتصال هاتفي عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) معها لتعزيتها من قبل الدكتورة إيمان محمد عباس المحاضرة في الجامعة الوطنية الماليزية.

الجوازات، فأخذتْه سِنَةٌ من النوم، وسقطت من يده الجوازات، فأردت أن أوقظه، ولكن كانت روحه قد حلقت إلى بارئها في سلام، وذلك في يوم الجمعة الموافق ١٣ ربيع الآخر ١٤١٣هـ الموافق ١١ أكتوبر ١٩٩٢م، فترجل الفارس ليحط في مقبرة المعلى مع صحابة رسول الله مجاوراً لقبر الزبير بن العوام ﷺ والسيّدة خديجة رضي الله عنها وغيرهما من الصحابة والتابعين وصالحي المسلمين1.

قال فيه تلميذه وليد الأعظمي الذي رباه الشيخ الصواف، وصنعه شاعراً موهوباً، وداعيةً دؤوباً حتى رحيله، والذي نَهَجَ نَهْجَ شيخِه بعد احتلال بغداد الأخير، والذي لقبّه الشيخ الصواف بشاعر الإسلام في العراق، يقول:

أكـــبرت يـــومـــك أن يكون وداعـــاً ... يا مـــالئ الـــوادي هدىً وشعاعا
يا باعـــثًا هـــمم الشباب إلى العـــُـــلى ... لولاك كـــادوا يذهـــبون ضـــياعا
يا داعيـــاً لله أفـــنى عـــمـــــــره ... سعيـــاً لـــيدهم للفســـاد قلاعـــا
ومربيـــــاً للـــناشئـــين مـــوجهًـــا ... أفكارَهـــــم كي يُبـــدعوا إبداعا
جاهـــدت في عَرض البلاد وطـــولهـــا ... تتجـــاوز الأقـــــطار والأصقاعا
قـــد كنت رُبـــان السفينـــة عنـــدنـــا ... تمضي وترفع للنجـــــاة شـــراعا
والقـــادة العظمـــاء كل جهادهـــــم ... خطـــبٌ ولا تتجاوز المـــذيـــاعا
وإذا خَطَبتَ فأنت سيـــــــلٌ دافـــقُ ... ملأ الوهـــاد هـــــديرهُ دفـــّاعا
وصدعت بالحـــق الصَّراح و لم تَلـــن ... وكشفتَ عن تلك الوجوهِ قنـــاعـــا
وملكت أفئدةَ الرجـــال وغيـــركُـــم ... يسعى ليملكَ (منصباً) و(ضِيـــاعا)
أنـــا من ثمارك شـــاكرٌ لك شـــاهدٌ ... مـــا كان سعيك في الجهاد مضاعاً

[1] مصطفى عاشور، **الصواف وفن صناعة الرجال في ذكرى وفاته**، مقالة على الإنترنت.

المحور الثاني
تفسير الشيخ الصواف فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن تفسير وبيان
تعريف وتحليل

المبحث الأول: التعريف بالتفسير تاريخ وبيان

شبّ حب القرآن ودعوته في قلب الصواف مبكراً مذ كان طفلاً، يتنقل بين حلقات مساجد الموصل لحفظ القرآن وسماع العلماء، والتخرج في المدرسة الفيصلية الدينية التي درس فيها على كبار علماء عصره في الموصل كما ذكرنا.

ثم توجه إلى الجامعة الأزهرية العريقة التي احتضنته وكرمته لتفوقه، حيث أكمل مواد ست سنوات في ثلاث سنوات في دراسة مكثفة، اختصر بها مدة الدراسة، وحصل على العالمية الأزهرية في الشريعة، وعند ما عاد إلى العراق انضم للتدريس في كلية الشريعة. ولما شاع اسمه في الوسط المحلي طلبته الإذاعة العراقية لإلقاء حديث ديني صباح كل يوم، واختار له عنواناً باسم (مائدة القرآن)، واستمر لعدة سنوات، وعند ما اضطر للخروج من العراق بسبب الأحوال السياسية التي هددت حياته، واستقر به الحال بمكة المكرمة أستاذاً بكلية الشريعة عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).

وفي هذا الوقت اتصلت به الإذاعة السعودية بجدة، واتفقت معه على إلقاء حديث يومي، فاختار الحديث بعنوان (دروس من كتاب الله) واستمر في ذلك عدة سنوات1.

وعن سبب اختياره أن يكون حديثه الإذاعي في تفسير القرآن يقول: "وبدأت بالقرآن العظيم الحبيب إلى قلبي وسمعي وبصري، وهو نور الله بيننا، وصراطه المستقيم، وهو المصدر الأول والمنبع الصافي لدعوة الإسلام، والمعلمون لكلام الله هم حملة القرآن، وهم المتلبِّسون بنور الله، فقد قال النبي ﷺ فيما رواه الحاكم في المستدرك: «حملة القرآن هم المعلمون لكلام الله، المتلبسون بنور الله، من والاهم والاه الله، ومن عاداهم عاداه الله»2.

---

[1] انظر الصواف، **مقدمة تفسير (فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن تفسير وبيان)** (دار العلم للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ط: ٨، ١٠، ١١. وانظر **من سجل ذكرياتي**، الصواف: ٣٥، ٤١، ٩١.

[2] انظر الصواف، **تفسير (فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن تفسير وبيان)**: ٨، ١٠، ١١.

دواعي اختيار تفسير الفاتحة وجزء عمّ:

لقد درج العلماء على اختيارات تفسيرية بحسب الدوافع والأهداف التي يتوخونها، والأستاذ الصواف بينّ لنا ذلك في مقدمة تفسيره بأنه بدأ بفاتحة القرآن لأنها أم الكتاب، وأم القرآن، والشافية، والوافية، والكافية، وهي ورد المسلم اليومي، والتي يقرأها في كل صلاة، ولا تصلح صلاته بدونها، والمسلم يتلو الفاتحة في صلاته اثنتين وثلاثين مرة كل يوم، وتحتوي على مائة وثلاثين حرفًا في خمس وعشرين كلمة1. فالمقصد تعليمي تربوي، ينطلق فيه الأستاذ الصواف لترسيخ المفاهيم الإسلامية، من خلال حركة الفرد اليومية، وما يؤديه من صلوات، ليتسنى له تحقيق مقصد شرعي في الصلاة، ألا وهو الخشوع الذي يرافق التدبر عند القراءة في الصلاة، وهذا مما يرسخ الإيمان، ويجعل المصلي يعيش مع أسرار الفاتحة وأنوارها وآثارها على النفس والجوارح، فضلا عن أنها تشتمل على أهم مقاصد القرآن، ومطالبه، وأهم هذه المطالب2:

١. التعريف بالله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وإثبات وحدانيته.
٢. إثبات اليوم الآخر، والحساب والجزاء والحكم بين الناس.
٣. إفراد العبادة لرب العباد فلا معبود سواه ولا مستعان إلا به.
٤. أنه لا هادي إلا الله لذا خص طلب الهداية منه.
٥. أثبتت السورة النبوات فهو ربّ العالمين، وهو سبحانه لن يترك عباده سدىً، وأن من مقتضيات ربوبيته إرسال الرسل لتربية أقوامهم. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].
٦. بينت لنا أنباء السابقين من طبقة السعداء الذين أنعم عليهم ربهم، وطبقة المطرودين من المغضوب عليهم والضالين.

فإذا أحاط المسلم بهذه المعاني من خلال تلاوته اليومية لسورة الفاتحة، فإنها سترسخ الإيمان والعمل وتحقق التدبر الواعي الخاشع، وتعزز الاخوة بين المسلمين وقوة ترابطهم.

[1] محمد محمود الصواف: **فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن**: ص٨، ص٩.
[2] انظر المصدر نفسه: ص٣٠.

لماذا جزء عمّ ؟:

والمقصد الذي دفع بالشيخ الصواف لتفسير سورة الفاتحة هو نفسه الذي جعله يُقْدِم على تفسير جزء عمّ؛ لأن أغلب المسلمين يحفظون هذا الجزء المهم، والذي يتضمن قصار السور التي يقرأها الناس في صلواتهم، وبالتالي فهُمْ في حاجة شديدة إلى معرفة معانيها وأسرارها1.

ولكي يتحقق هذا المقصد التربوي الدعوي في ربط المسلمين بالقرآن فهم بحاجة إلى تفسير سهل العبارة، ثري العاطفة، واضح المعنى، وهذا المقصد الدعوي دفع الأستاذ الصواف إلى ربط كل المسلمين بالقرآن، بغض النظر عن مستوياتهم الثقافية؛ لأنه هو دستور وحدتهم، وكتاب عبادتهم، وقانون حياتهم، وجزء عمّ قد احتوى على قضايا الإيمان، والأخلاق، وتمحيض العبودية والولاء لله وحده2.

كما أن الشيخ الصواف كشف عن المناسبة المعجزة بين أول القرآن وآخره، من خلال المناسبة بين سورة الفاتحة والناس، فالمسلم يدخل جنة القرآن وبحره المحيط بـ"﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ...﴾، فإذا انتهى من رحلته المباركة، استعاذ برب الناس، وملك الناس، ومالك يوم الدين". هذه المعاني استحضرها الشيخ الصواف الذي أمضى ثلاثين سنة في إخراج هذه الدروس في كتاب الله، ووفقه الله تعالى إلى ذلك في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) حيث يقول الشيخ3: "أحمد ربي العلي الكبير الذي مدّ في الأجل، وأصلح العمل، وأسكنني أبهى وأشرف محل (مكة المكرمة)، ووفقني لإتمام هذا التفسير وطبعه ونشره، والذي بدأته قبل ثلاثين سنة في بغداد والموصل، ثم أتممته في مكة، والمدينة، والطائف، وها أنا ذا أطبعه في جدة".

المبحث الثاني: المدرسة والمنهج

مدخل:

على ضوء التحولات الفكرية والسياسية في العالم الإسلامي التي انتقلت من الدولة الواحدة إلى الدويلات المتفرقة، ومن النظام الاجتماعي الإسلامي إلى النظام الاجتماعي العلماني، ومن الوحدة الإسلامية إلى التشتت القومي، وتقاسمت القوى الكبرى تركة الرجل الذي أمرضوه وليس المريض،

[1] المصدر نفسه: ٩.
[2] المصدر نفسه.
[3] المصدر نفسه ٥٩٥.

فهيمنت روسيا على أراضي المسلمين، واقتسمت بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإيطاليا وهولندا بقية العالم الإسلامي باسم الاستعمار المصطلح المفرغ من معناه. ووضعت رؤية معرفية جديدة قائمة على إنكار التعاليم الدينية في توجيه المجتمع، وفصل ما بين الدين والحياة، مع الفارق بين المصدرية الكنسية للمعرفة والمصدرية الإسلامية، لا تضفي على الاجتهادات صفة الوحي، وإنما هي اجتهادات بشرية قابلة للمناقشة والرد أو القبول، فضلاً عن أن الإسلام يطلق حرية التفكر والاكتشاف والاختراع، بل إن النهضة الأوربية قامت على تراث علمائنا العلمي، وأما الكنيسة فكانت تنكر دوران الشمس، وتجعل ذلك وحياً، وتقتل من يقول بغير ذلك، والقرآن من أول ما يتعبدنا بقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، ونقل هذا التصور إلى العالم الإسلامي بحذافيره، وصيغت مناهج العلوم الإنسانية وغيرها على هذه الرؤية العقائدية، ظناً من التنويريين بأنهم بالأخذ بهذه التصورات سيلحقون بثقافة العصر، وينالون التقدم في كل مجالات الحياة كما قال طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر: "إذا أردنا التقدم فعلينا أن نأخذ بحضارة الغرب، خيرها وشرها، وحلوها ومرها، وغثها وسمينها"، وهذا الذي دفع لظهور المدرسة الدعوية بعد أربع سنوات من إسقاط الدولة العثمانية، لإعادة تشكيل العقل المسلم، وتربية الفرد والأسرة والمجتمع، وذلك من خلال مشروع نهضوي جديد، يجمع بين الأصالة والتجدد والمنطلق من المصدرية الشرعية الكتاب والسنة.

أولا: مدرسة الشيخ الصواف التفسيرية:

ينتمي الشيخ الصواف إلى المدرسة الدعوية الحركية، وهي المدرسة التي ترتكز على التربية والتزكية والمجاهدة ودعوة المسلمين بالالتزام بهدي القرآن، الذي أنزله الله تعالى ليكون منهج حياة المسلمين بخاصة، والبشرية عامة1 قال تعالى: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقد بين الشيخ الصواف ملامح مدرسته هذه في مقدمة تفسيره بقوله: "بدأت في تأليفه- التفسير - منذ أول عهدي بالعمل لدعوة الإسلام التي وهبتها حياتي وروحي، بل هي أغلى عندي من دمي ومالي وأهلي وأولادي"2.

[1] انظر الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمنهج المفسرين** (دار القلم ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م): ٥٦٨.
[2] الصواف، **التفسير**: ٧.

ويقول: إنه بعد إنهاء دراسته الأزهرية ورجوعه للعراق وعمله في كلية الشريعة بالأعظمية بدأ في "خدمة الدعوة الإسلامية المباركة التي تقوم أول ما تقوم على التربية الإسلامية الصادقة، والتوجيه السليم في بناء الرجال وإعداد الأجيال لحمل دعوة الإسلام"[1].

ويصف تفسيره بأنه: "تفسير دعوة وإرشاد وبيان حكمة وسداد. وحاولت جهدي أن أدفع الشباب من أمتنا الإسلامية إلى سلوك سبيل هذه الدعوة المباركة"[2]، ولما كان الداعية الشاب يحتاج إلى ثقافة تفسيرية يستطيع بواسطتها مخاطبة المدعوين، فحرص الشيخ الصواف على أن يضع بين أيديهم تفسيراً[3] في "أسلوب سهل ميسر مبسط، ليضع الشباب أيديهم على كنوز لا تفنى، ومعانٍ لا تبلى، بل لا تنقضي عجائبها من كتاب ربهم العظيم"[4]، ويضع لنا الشيخ الصواف إطاراً قرآنياً لهذه المدرسة الدعوية، وكتب رسالة في ذلك بعنوان ("من القرآن..وإلى القرآن" الدعوة والدعاة). يقول فيها[5]: "إننا معاشر المسلمين عامة والدعاة بخاصة:

١. من القرآن نستمد الدعوة والنور والهداية.
٢. ومن القرآن نستمد المنهج، ونسلك سبيل الدعاة والأئمة من الأنبياء والمرسلين.
٣. ومن القرآن نتعلم أساليب الحكمة والتنويع في الدعوة.
٤. ومن القرآن نلتمس الشفاء، شفاء الروح من الغفلة[6].

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا﴾ [7]، والشيخ الصواف أحد تلاميذ الشيخ حسن البنا، ورمز من رموز الإخوان المعروفين، فهو ينطلق من نفس المنطلقات التي وضعها المؤسس لمشروعه الدعوي، لإعادة صياغة الواقع الإسلامي صياغة جديدة، بعد أن فشا المنهج الذي رفع رايته التنويريون الجدد، في صياغة الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية في العالم الإسلامي والمنطقة العربية بالخصوص،

[1] المصدر نفسه: ٧.
[2] المصدر نفسه: ١١.
[3] انظر المصدر نفسه: ١١.
[4] انظر المصدر نفسه: ١١.
[5] الشيخ الصواف: **من القرآن..وإلى القرآن** (بيروت، مؤمنة الرسالة، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م): ٦.
[6] الشيخ الصواف: **من القرآن.. وإلى القرآن**: ٧.
[7] سورة الإسراء: الآية ٨٢.

وقد عبرت عنها كلمة (وليم إيوارت غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا (١٨٩٨م) عند ما وقف في البرلمان البريطاني وهو يحمل المصحف بيده مخاطباً: "مادام هذا القرآن موجوداً في يد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فإما نأخذه من يد المسلمين، أو تقطع صلتهم به"[1].

و لم تغب عن الشيخ الصواف منهجيته في الإصلاح المنطلِقَة من مدرسته الدعوية، التي تدرك أبعاد المعركة المعلنة، والتي كان مؤسسها الشيخ حسن البنّا ينادي: "لا دستور لنا إلا القرآن، و لم ينْزل من علياء السماء على قلب محمد ﷺ، ليكون تميمةً يحتجب بها، أو أوراداً تقرأ على المقابر وفي المآتم، أو ليكتب في السطور ويحفظ في الصدور، أو ليحمل أوراقاً ويهمل أخلاقًا، أو ليحفظ كلامًا ويهجر أحكاما!؟ وإنما نزل ليهدي البشرية إلى السعادة والخير قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ● يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ 2.

"أليس من العيب أيها المسلمون أن ترضوا بأحكام الإفرنج، ولا ترضوا بحكم الله، مع أن الله قد وصم كل أمة لا تحكم بأحكام كتابه بالفسق، بل وصفها بالظلم، وأن مَثَلكم أيها المسلمون عند ما تركتم كتاب الله وراءكم كمثل الرجل الذي بيده المصباح، فيأبى إلا أن يطفئه ويلتمس غيره عند العميان، وأن العالم الآن قد غشيته موجة مادية، فجعلته كسفينة حار ربانها، وأتت عليها العواصف من كل جانب، والإنسانية قلقة معذبة، في حاجة إلى عذبٍ من هدي القرآن، يغسلُ عنها أوضار الشقاء، ويأخذ بها إلى السعادة"، وقد أدرك الشيخ البنا أهمية إعادة العلوم الشرعية بمنهجية جديدة بعد أن انعزلت عن واقع المجتمع لحلول المنهجيات الجديدة.

وحدد الشيخ حسن البنا المنهجية التي سيكتب بها التفسير في مقاله له بعنوان: (كيف أكتب القسم الديني لجريدة الإخوان المسلمون)، وذكر الملاحظات الآتية بين يدي المشروع للمتغيرات3:

---

[1] par maryam jamilah، badiuuzzaman s'aid nursi، le sauvenrde Islam on turkey: 7 وانظر د. ليث سعود جاسم، **الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات**، (القاهرة، شركة سوزلر للنشر ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٤م): ٥٣.

[2] القاهرة في عام ١٩٣٧م في مسجد دانيال في الإسكندرية. انظر: عباس السيسي، **حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية**، (القاهرة دار التوزيع والنشر الإسلامية): ٦١-٦٣.

[3] انظر: عصام تليمة، **نظرات في كتاب الله للإمام الشهيد حسن البنا**، (القاهرة دار النشر والتوزيع الإسلامية ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م): ٦٣-٦٥، وهذا المقال نشر في العدد الأول لجريدة الإخوان المسلمين في يوم الخميس ٢ صفر ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٣م.

١- إن لكل عصر طريقة في الكتابة، تتناسب مع أسلوب أهله في الفهم وطرقهم في الدراسة، ولا بد من التجدد تبعاً لتجدد عقول الناس، وتغير طرق البحث والتفكير والاستنباط، ولهذا كان لمؤلفات كل عصر من العصور الإسلامية السابقة طابع خاص يمتاز به.

٢-"إن عصرنا عصر نهضة في التأليف والعلوم والمعارف، ومع ما بدأ فيه من توجه الهمم إلى الترتيب والتهذيب والتسهيل والتعريب لم تظفر فيه العلوم الدينية بشيء من همم المؤلفين، وجهود المصنفين، فظللنا مع الكتب الدينية حيث كنا، عمادنا كتب من قبلنا، ولم نخدم نحن عصرنا بشيء، فلا زلنا إلى الآن عالة على من سبقنا، ولهذا كانت فائدتنا من العلوم الدينية قليلة؛ لأن طريقة تأليف تلك الكتب وترتيبها ووضعها لا يتفق مع طرق الدراسة الحديثة"[1].

ويتجلى ذلك في مواضع منها:

- صعوبة التعرف على حكم مسألة من مسائل البيع، فإنك تستنفذ وقتاً كبيراً للوصول إليها، ومن ثم جمع شتاتها.

- إن بعض أحكام المعاملات الحديثة تخلو منها أمهات كتب الفقه، وواجبنا نحن أن نعالج ما يجِدُّ في عصرنا من المسائل، على ضوء القواعد الكلية التي وضعها الأئمة رضوان الله عليهم.

- الإفاضة في أحكام لا وجود لها الآن والتمثيل لها كمسائل الرق، والأوزان والمكاييل والمسافات باصطلاحات نحن في حاجة إلى ما يقابلها في عصرنا[2].

ثم يعقب "لا أقصد بهذا الطعن في المتقدمين رضوان الله عليهم، كلا.. كلا، فهم - جزاهم الله خيراً - أدوا مهمتهم، وقاموا بواجبهم لعصورهم، وألفوا كما تحب العقول التي عاشوا معها، وخلفوا لنا هذا الميراث الغني الخصب الفياض بالعلم، الزاخر بالأحكام، ولكني أقصد أن أستحث همم علمائنا المعاصرين، حتى يخدموا دينهم في عصرهم، ويؤلفوا للعقول التي يعيشون معها كما كان أسلافهم"، وكما قال ذلك الفلاح الشيخ: "قد غرس من قبلنا فأكلنا، ونغرس نحن ليأكل من بعدنا"[3].

لا أريد أن نكون حلقةً غفلاً مجهولةً في سلسلة العصور العلمية الإسلامية، يصفنا أبناؤنا وأحفادنا بالتواكل والتقصير، بل أريد أن نكون حلقةً قويةً، تصوغ علوم الأسلاف بالصيغة

---

[1] عصام تليمه: **نظرات في كتاب الله**: ٦٤.

[2] انظر المصدر نفسه: ٦٤، ٦٥.

[3] قيل: إن هذا القول لعلي بن أبي طالب.

التي تجذب إليها عقول الأخلاف"1، ثم يضيف بقوله: "وليعلم قرائي الكرام أني أخذت أن أطرق هذا الباب، لا أستأثر ببحث ولا أستبد برأي، بل أرجو منهم أن يتكرموا بمعاونتي في هذا السيل الشائك، حتى نستخلص الحقيقة معاً، وليس أحب إلى نفسي من نصيحة صادقة يقدمها إليّ قارئ كريم، أو مشورة مخلصة يتفضل بها عليّ أخ حميم، فأنزل على أحكامها وآخذ بالعمل بها إن شاء الله"2.

من رواد هذه المدرسة الدعوية:

وقد أنجبت هذه المدرسة رجالاً نفذوا ما لم يستطع الشيخ البنا تحقيقه من هذا المشروع، فكلف بعض تلامذته في حياته، واستمر المشروع يحمله أتباع هذه المدرسة ومن وافقهم في هذا الفهم، فأنجزت أعمال مهمة في الإنتاج العلمي والعمل المؤسسي الرسمي والشعبي، ومن أشهرهم: الشيخ سيد سابق الذي كتب بطريقة مبتكرة، والشيخ عبد القادر عودة، والشيخ القرضاوي، والشيخ مصطفى السباعي، والشيخ محمد الحامد، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ الصواف، والشيخ بشير الإبراهيمي، والشيخ عبد الكريم زيدان، وغيرهم كثير وفي شتى العلوم. ومنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

وأما في الجانب التفسيري وهو مدار هذا البحث، فقد أنجبت هذه المدرسة:

١. الشيخ حسن عبد الرحمن البنا الساعاتي (ت ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م).

٢. الشيخ طنطاوي جوهري الذي كان يلقب بحكيم الإسلام، وهو ممن درس عليه الشيخ البنا في دار العلوم، والذي اقتنع بمشروع المدرسة الدعوية للإخوان، فانضم إليهم سنة ١٩٣٣م بعد مناقشة مع الشيخ البنا، فاختير عضواً في مجلس الشورى، وكان يكتب باب التفسير العلمي في جريدة الإخوان المسلمين، الذي ظل يرأس تحريرها حتى قبل وفاته بسنة (ت ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م).

٣. الشيخ سيد قطب إبراهيم (ت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

٤. الشيخ العلامة أبو الأعلى المودودي (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

---

[1] عصام تليمة: **نظرات في كتاب**: ٦٥.

[2] المصدر نفسه: ٦٦.

٥. الشيخ مصطفى الحديدي الطير وكان وكيل الشيخ البنا في قيادة الجماعة، وهو الذي ناب عنه في كتابة الصفحة الدينية، وكان أستاذاً في قسم التفسير، وقد حضرت مجلسه في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سنة ١٩٧٥م، وكان في ذلك الوقت في السبعين من عمره.

٦. الشيخ سعيد حوى (ت ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

٧. الشيخ محمد محمود الصواف (ت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٨. الشيخ عبد المتعال الجبري.

٩. الشيخ محمد الغزالي (ت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

١٠. الشيخ محمد عبد الحميد كشك الخطيب المعروف والذي سجن مع الإخوان (ت ١٩٩٦م).

١١. الحاجّة زينب الغزالي وهي من طلائع العمل النسائي في مصر وكانت مع هدى شعرأو ي (ت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

١٢. الدكتور عدنان زرزور. أستاذ التفسير بجامعة قطر بجامعة قطر كلية الشريعة.

١٣. الدكتور محمد فتح الله السعيد: أستاذ التفسير بجامعة الأزهر كلية أصول الدين قسم التفسير.

١٤. الدكتور محسن عبد الحميد: أستاذ التفسير بجامعة بغداد كلية التربية. وغيرهم.

منهج الشيخ الصواف في تفسيره:

إن مقدمة أي تفسير هي مفتاح لتبين منهجية المفسر لانه يشير لا شك في مقدمته إلى أهداف وخصائص تفسيره وقد لا يشير، مما يتطلب قراءة التفسير وتدبره واقتناص منهجه من خلال السطور، وهذا يشكل صعوبة من وجه، ولكنه من وجه آخر ينمي القدرة على التعمق في التحليل والاستنباط.

والشيخ الصواف في منهجه واضح، فقد بين في مقدمته سبب اقتصاره في التفسير على الفاتحة وجزء عمّ، وما الهدف من ذلك، وسنوجزه بالنقاط الآتية:

١. بين الشيخ الصواف سبب اختياره لسورة الفاتحة: ذلك لأن الناس يتعاملون تعاملاً يومياً مع هذه السورة. "فالفاتحة يقرأها المسلم في كل صلاة، ولا تصح صلاته بدونها، وهي حبيبة إلى قلبي وقلب كل مؤمن، والمسلمون في أمسّ الحاجة إلى معرفة أسرارها وأنوارها وآثارها، ومعانيها

السامية العالية"1، فضلاً عن أنها: أم القرآن، والشافية، والكافية. وكذلك بالنسبة لجزء عمّ "إذ أن المسلمين يحفظون هذا الجزء المهم، أو القسم الأكبر منه، وفيه قصار السور التي يقرؤونها في صلواتهم، وهم في أمسّ الحاجة إلى معرفة معانيها وأسرارها واضحة بينة"2، كما أن سورةُ أغلبها مكية تتعلق بترسيخ العقيدة والأخلاق الإسلامية، وبيان الأساليب الدعوية.

٢. هدف الشيخ الصواف أن يبين نقطة مهمة، وهي وضع النبي ﷺ لهذه السورة في آخر المصحف "ليتصل آخر الكتاب الكريم بأوله، وليتجلى بذلك إعجاز النظم القرآني من خلال ترتيب سورة، والترابط والتناسق بين أول القرآن من خلال الفاتحة وسورة الناس.

وليتبين "أن ما بين دفتي المصحف الشريف ويرتبط آخره بأوله، ويمتزج أوله بآخره، فالمالك واحد، والرب واحد، والإله واحد، والمعبود واحد، والمستعان واحد، والدّيان واحد، وإله الناس واحد، والكتاب الذي أنزله واحد، دفتاه شيء واحد، يرتبط به كل حرف فيه بالذي قبله ارتباط الروح بالجسد، وأنه كالعقد المنضد، ترتبط كل كلمة منه بالتي قبلها، والتي بعدها ارتباط اليد بمعصمها"3.

فالآيات في سورة فاتحة الكتاب بينها وبين آيات خاتمة الكتاب سورة الناس تماثل وتناسب وترابط. كحلقة موصولة الأطراف. فسورة الفاتحة تبدأ بـ﴿الحمد رب العالمين ● الرحمن الرحيم﴾ وسؤال الهداية والرعاية4، وسورة الناس تبدأ بالاستعاذة ﴿برب الناس﴾ من وساوس الشيطان وصده بعد الهداية، وسورة الفاتحة فيها ﴿ملك يوم الدين﴾ مالك الناس يوم الدين، وسورة الناس فيها ﴿ملك الناس﴾ مالك الناس في الدنيا، وفي سورة الفاتحة الاستعانة به عز وجل وحصرها بذاته الشرعية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وفي سورة الناس الاستعانة بالله والالتجاء إليه وحده ﴿أعوذ برب الناس﴾، وهذا يشير إلى ملاك الأمر في هذا الدين، وهو التوجه إلى الله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، والإخلاص إليه في القول والعلم، والانتماء إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والاعتصام به. وهذه الالتفاتة الموفقة من الشيخ الصواف فتحٌ من الله عليه فيها.

---

[1] الشيخ محمد محمود الصواف، **فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن**، ٨.

[2] المصدر نفسه: ٩.

[3] المصدر نفسه: ٩، ٥٨٥،

[4] المصدر نفسه: ١، ٥٨٦.

٣. ومن أهدافه الدعوة إلى إصلاح المجتمع الإسلامي بل البشري، بالرجوع إلى المنهج القرآني الذي صلحت به البشرية من خلال المشروع الإصلاحي الفرد والمجتمع، الذي طرحته المدرسة الدعوية، بعد إسقاط الخلافة العثمانية، فالتخلف الذي نحن فيه هو ثمرة المنهج المعرفي الحديث الذي جاء مع الاستعمار، الذي توخَّى صياغة أخرى للشخصية في مجتمعاتنا كما ذكرنا، بمنهج مغاير لمنهج هذا القرآن الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وهبَّ المصلحون لمعالجة الأمر، فكان هناك علماء الأزهر وعلماء العراق وعلماء الشام والهند وعالم الملايو وإفريقية، يصلحون المشاكل التي تولدت في المجتمع المسلم نتيجة التحديث، وظهر أمثال: الشيخ طنطاوي جوهري، والشيخ محمد بخيت شيخ الأزهر، والخضر حسين، وحسن البنا، وأمجد الزهاوي، والصواف، ومحمد إقبال، ومصطفى السباعي، وغيرهم. ويقول الشيخ الصواف:

"ولقد استهدفت في هذا التفسير لهذا الجزء من كتاب الله العزيز تجليه هدآيات ومنارات القرآن، وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع لعباده في هذا القرآن العظيم من منهج سليم، ودستور حكيم، وصراط مستقيم، وضع الله لهم فيه مناهج بيضاء ناصعة، ليلها كنهارها، وقواعد ثابتة صادقة عامة شاملة، تضمن لهم السعادة والعزة والكرامة، كما تضمن لهم الاستخلاف في الأرض، وسيادة مبادئهم ودينهم مع الاستقرار والازدهار". واستطرد الشيخ الصواف قائلاً: "فهو تفسير دعوة وإرشاد، وبيان حكمة وسداد... ركزت فيه على الدعوة الإسلامية، وحاولت جهدي أن أدفع الشباب من أمتنا الإسلامية إلى سلوك سبيل الدعوة الربانية المباركة، وأن أضع بين أيديهم نماذج من هذا الجزء العظيم الخاتم للقرآن".

٤. ومن منهجه بيان معاني القرآن السامية في أسلوب ميسر مبسط وأن "يضع الشباب أيديهم على كنوز لا تفنى، ومعانٍ لا تبلى، ولا تنقضي عجائبها من كتاب ربهم العظيم الذي ربى الله فيه عزّهم ومجدهم وسيادتهم على الأرض".

٥. استخدام المنهج الشامل في التفسير، حيث استخدم عدة مناهج، مثل التفسير بالمأثورات[1] حيث فسر القرآن بالقرآن[2]، وبالحديث النبوي[3]، ثم إيراد أقوال

---

[1] وهو التفسير الذي يذكر الآيات التي يفسر بعضها بعضًا في الموضوع الواحد، وقد فرق بعض المتخصصين بينه وبين التفسير بالمأثورات. وانظر صلاح عبد الفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين** (دمشق، دار القلم ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م): ١٤٨. وعرفه القحطان بأنه "الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة؛ لأنها جاءت مبيِّنةً لكتاب الله، أو ما روي عن الصحابة والتابعين، **مباحث في علوم القرآن** (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣٥، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م): ٣١٨.

[2] انظر محمد محمود الصواف: **التفسير**، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٣٥، ٤٧، ٦٠، ٦٦، ٧٦، ١١٠، ١٧٤، وغيرها.

[3] المصدر نفسه: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٩، ٣١، ٣٨، ٩٣، ٩٨، ١٠٣، ١١٤، ١٣٣، ١٣٧، ١٦٤، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٨، وغيرها.

الصحابة1، والتابعين2، واستخدم التفسير العلمي3، والتفسير الموضوعي4، واللغوي5.

٦. غلب على تفسيره استخدام علم المناسبات6 ليربط أول القرآن بآخره من خلال سورة الفاتحة وسورة الناس، واستخدم المناسبة بين سور جزء عمّ جميعها.

٧. حل المفردات اللغوية والتراكيب حلاً مجملا7. واللغة التي هي الآلة الرئيسية التي يعبر من خلالها المفسر عن المعاني المناسبة في تفسير الآيات الكريمة ومخاطبة الجوانب الجمالية والذوقية، وقد اعتمد الشيخ الصواف على كتب اللغة والمعاجم، وقد دأب الشيخ على مبدأ التعريف بالكلمات الصعبة، وبيان معاني المهم من الألفاظ وتبسيطها بأسهل العبارات. فضلاً عن الإشارة إلى النكت البلاغية التي تكشف جمال الإعجاز اللغوي في خصائص التعبير القرآني.

وتمكن المفسر من علم النحو بُعد آخر في البناء العلمي للمفسر ليستطيع أن يفهم الأساليب النحوية، ومن ثم يستطيع تحليل اللغة القرآنية وإ براز عظمة هذه اللغة التي اختارها الله لكتابه، والتي جعلت الوليد بن المغيرة القرشي الأصيل – بعد استماعه للقرآن– يقول: "والله! إنه مثل كلامنا، ولكنه ليس ككلامنا ..."، وقد وفق الشيخ في توظيف المصادر المعتبرة في ذلك فضلا عن نظراته الخاصة التي تسهل تناولها من كل مستويات القراء.

---

[١] المصدر نفسه: ٢٩، ٣٧، ٣٩، ٧١، ٨٤، ٩٠، ٩٤، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٠، ١٥١، وغيرها.

[٢] المصدر نفسه: ٢٩، ٤٣، ٤٨، ٨٥،٨٠،٦٦، ٩٩، ١٠٠، ١١٩، ١٣٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، وغيرها.

[٣] لمصدر نفسه: ٧٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٥٧، ٢١٤، ٢٥٢، ٢٨٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٩.

[٤] المصدر نفسه: ٤٧٤–٥٤١ وتتضمن السور: العصر، الهمزة الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، ومن ٥٧١–٥٩٤ ويتضمن سورة الفلق والناس حيث يقسم السورة إلى موضوعات مستنبطة من موضوع السورة كما سنين ذلك في المبحث القادم.

[٥] المصدر نفسه: ٣٢،٣٥،٤١، ٦٥، ٧٦، ٨٠، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٢، ١٩١، ٢٨٥، ٢٨٧ وغيرها.

[٦] المصدر نفسه: ٩–١٠، ٥٨٥. "وهو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالهُ حالَ البناء المحكم المتلائم الأجزاء" الزركشي، **البرهان** ٧/١. ويقول القاضي ابن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، ومنتظمة المباني" أورده الزركشي في **البرهان**: ٣٦/١.

[٧] الشيخ الصواف: **التفسير**: ٣٢، ٣٥، ٤١، ٦٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١١٠، ١١٤، ١٢١، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٢، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣١٥، ٣٣٦، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٤٨، ٤٥٤، ٤٩١، ٤٩٩، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٣٠.

٨. استشهاده بالشعر[1] لإعطاء القارئ مادة متنوعة في تفسير القرآن، فالشعر إما يكون شاهداً لمعنى، أو تأكيداً لرأي، أو ترويحاً بأبيات يجم بها النفس، أو إثارة حماسية مطلوبة في تثبيت معنى في قلب القارئ، وقد طوف الشيخ الصواف بين دواوين الشعر وكتب الأدب في الجاهلية والإسلام للاستشهاد بها في مواطنها المناسبة، بل استشهد بالشعر المعاصر ليكون أقرب للقلب، وأشد تأثيراً على النفس. وكان ينسب الشعر إلى قائله، وأحياناً يسنده بقوله: (قال الشاعر)، وأحياناً يحيل إلى الشاعر نفسه أو يحيل إلى مصدر ما، ويعتمد الشيخ على حفظه للشعر أحياناً.

الموضوعات الدعوية التي عالجها الشيخ:

إنّ الشيخ جعل محور تفسيره الدعوة وما يتعلق بها من شرعية، ووسائل وغيرها، وتكلم في موضوعات دعوية متعددة وسنعطي نموذجاً من خلاله تفسيره لسورة العصر، ما عدا الموضوعات التي طرحها في ثنايا التفسير، وأهم القضايا التي تناولتها السورة:

▪ أن الدعوة تدخل في باب العمل الصالح ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ [الانشقاق: ٢٥، والتين: ٦]، والصالحات لفظ عام شامل يحتوي على كل أعمال البر ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وكل شيء تصلح به نفسك.. وأهلك.. وجارك.. والناس أجمعين هو عمل صالح.. والإصلاح بين الناس، وجمع كلمة المسلمين، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، هو عمل صالح وهو منحة ربانية من الله.

▪ العمل الدعوي واجب شرعي: يقول الشيخ الصواف: "فشرط النجاة من الخسران جعله الله معلّقاً بمعرفة الناس بالحق، ولم يبشروا به ويدعوا الناس إليه.. فالدعوة إلى الحق والتبشير به فرع الإيمان بالحق ومعرفة الحق، ولا يهتم الأصل بدون هذا الفرع الذي هو الدعوة إلى الحق"، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما تقول القاعدة الفقهية. فإذا أصلح الإنسان نفسه وجب عليه إصلاح غيره، والدعوة إلى الإصلاح تشمل الناس جميعًا ﴿وَتَوَاصَوْا

[1] المصدر نفسه: ٤١، ٤٨، ٥٤، ٦٦، ٨١، ٩٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٨، ١١٣، ١٣٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٥٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٩، ٤٤١، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٥٨، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٩، ٥٣٠، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥٥٩، ٥٧٥.

بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٤] أي تواصوا بالدعوة إلى الحق. والحق هو الشيء الثابت الذي فيه خير المجتمع وراحة الجميع، وكل ما أمر به الإسلام حق تجب العناية به والرعاية له، ولما كان الحق مُرًّا على بعض النفوس، ولا يستسيغه بسهولة أمرنا الله بالتواصي بالحق، وكما تجب عليك وصية غيرك بالحق يجب ذلك على غيرك نحوك. وكما أمر القرآن بالدعوة إلى الحق فكذلك أمرت به السنة المطهرة، ففي حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: "بايعنا رسول الله ﷺ على أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم" رواه الإمام أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان.

▪ وسائل تبليغ الدعوة وطرقها: وقد أشار الشيخ في مباحث تفسيره إلى هذا الموضوع المهم لأساليب الدعوة ووسائلها، ومنها:

١- اللين في القول: ومن خلال قصة موسى عليه السلام في سورة النازعات يقول تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، حيث أمر الله تعالى موسى وهارون بالتلطف واللين في القول، والحكمة في الدعوة إلى الحق، وتذكير قلب هذا الطاغية الأثيم لعله يرجع عن غيّه. فيطلب الله عز وجل إلى موسى في هذه المناجاة أن يلين له القول ليكون أنجح في الدعوة، وهي سبيل الدعاة الهادين المهديين".

٢- التدرج في الخطوات[1]: وقد بيَّن الشيخ الصواف من خلال قصة موسى في سورة النازعات التدرج في الخطوات في مخاطبة فرعون: حيث بدأ موسى بالقول اللين، ومن ثمَّ بالسؤال الذي فيه ترغيب في تزكية النفس، وسلوك سبل الخير وبخاصة من خلال منصبه، فمن خلاله يستطيع فعل كل أبواب الخير، فبذلك يفوز بالقرب من الله في الدنيا والآخرة ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: ١٩]، فيرزقك معرفته، والخشية ثمرة المعرفة، ولكن فرعون وقلبه القاسي وتفكيره المادي صده عن الهداية. وفي الثالثة قدم له العلامة المادية وهي الآية الكبرى ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٢٠] العصا التي تحولت إلى أفعى، وعرض عليه المعجزة الأخرى حيث وضع اليد تحت الإبط لتخرج مضيئة ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ 2"، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ● ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ● فَحَشَرَ فَنَادَى﴾

[1] انظر الشيخ الصواف، **التفسير**: ٩٧، ٩٨.
[2] طه: الآية ٢٢.

[النازعات: ٢١-٢٣]. ثم أخيراً أسلوب التحدي، من خلال ثقافة المحيط، فهو إما أن يكون تحد للطريقة التي كانت شائعة في زمان فرعون، وهي استخدام السحر، فكانت آلة التحدي من جنس ثقافة المحيط. وإما أن يكون التحدي بالمناظرة الفكرية كما حدث مع الوليد بن المغيرة الذي قرأ عليه رسول الله ﷺ الآيات في سورة فصلت من بدايتها إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود﴾ [1] مما جعل الوليد يفر من معجزة القرآن اللغوية، التي لم تقف أمامها فصاحة الوليد، فرجع معترفاً بفصاحة القرآن وبلاغته، ومع ذلك وصف القرآن بالسحر..!! وفي عصرنا الحاضر في مناظرات الشيخ أحمد ديدات مع المنصرين الجدد الذين لم يصمدوا في مناظراتهم أمام حججه مثال آخر.

الصبر على الدعوة ومستلزماتها:

ثم ذكر الشيخ أهمية الصبر في طريق الدعوة، ففي سورة العصر جاء الأمر بالصبر بعد الأمر بالحق والتواصي ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٤]، ويعقب الشيخ الصواف بقوله: "وكان من لوازم الدعوة إلى الحق، الأذى يصيب الداعي إلى الحق، من أعداء الحق وأنصار الباطل، وإذا انتاب الداعي إلى الحق شيء من الضر فليصبر وليصابر، وليعلم أن العاقبة للمتقين، وإذا سبّ أو أوذي فليقابل ذلك بالثبات، وخاصة أصحاب الدعوات ورجال الإصلاح لأنهم يتعرضون لما لا يتعرض إليه من غيرهم من أذى، الافتراء والتهم والأباطيل، فعليهم أن يصبروا ويصابروا، ولا يلتفتوا إلى الوراء، فتلك سنة الأنبياء، وليكن شعارهم قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وأن يستيقن الداعي بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً"[2].

مصادر تفسير الشيخ الصواف:

اختيار المصادر هو جزء من المنهج الذي يسلكه المفسر، فإذا كان أثرياً فتغلب في تفسيره المصادر الأثرية من كتب الحديث والأثر رواية، وكتب التفسير، وهكذا لوكان فقيهاً فتغلب عليه المصادر الفقهية، وقس على ذلك.

والشيخ الصواف كان يلقي أحاديثه إذاعياً قبل تدوين تفسيره، فهذا يعني أنه كان قارئاً

[1] فصلت: الآية ١٣.

[2] انظر الشيخ الصواف، **التفسير**، ٨٢، ٨٣ و٢١٦-٢١٨.

جيداً، فعندما قرر تدوين أحاديثه في كتاب، فهذا يقتضي منه أنه وثق مادته التي كان يلقيها في الإذاعات، وأعاد النظر فيها ورتبها وأضاف إليها وهذا الأرجح، والناظر في مصادر الشيخ الصواف يجدها مصادر مشهورة ومتنوعة، فهي في التفسير والحديث والرقائق والسيرة والأدب، ولشتى الفرق الإسلامية لأهل السنة والشيعة والمعتزلة. وسنرتب هذه المصادر ترتيباً موضوعياً كآلاتي:

أولاً: مصادره في علم التفسير وعلوم القرآن:

١- كتب التفسير وما يتعلق به:

- تفسير الآلوسي، شهاب الدين نعمان خير الدين (ت ١٣١٧ هـ/١٨٩٩م) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)[1].
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي (١٣٧١ هـ/١٩٥١م)[2].
- تفسير البغوي، لحسين بن مسعود (٥١٦هـ/١١٢٢م) المسمى (معالم التنْزيل)[3].
- تفسير الرازي، فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) (التفسير الكبير)[4].
- تفسير رشيد رضا القلموني (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) تفسير المنار أو (تفسير القرآن الحكيم)[5].
- تفسير الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (٥٣٨ هـ/١١٤٣م)، (الكشاف عن حقائق التنْزيل)[6] (معتزلي).
- تفسير سيد قطب إبراهيم (ت١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) (في ظلال القرآن)[7].

---

[1] انظر المصدر السابق، ١٥٢، ١٦٢، ١٨١، ٢٣١، ٢٣٩، ٤٢٩، ٢٥٣، ٤٩٣، ٥٢٤.

[2] انظر المصدر السابق، ١١٠، ٣٥٧، ٥١٩.

[3] انظر المصدر السابق، ١١٧، ١٢١، ١٥٣، ٣٧٨.

[4] الشيخ الصواف، **التفسير**: ٣٥، ٧١، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١١٢، ١١٣، ١٣٥، ١٥٦، ١٥٦، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٨٥.

[5] المصدر نفسه: ٤٣، ٤٤، وغيرها.

[6] المصدر نفسه: ٣٩، ٧١، ١٣٤، ٢٣١، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٧٠.

[7] المصدر نفسه: ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧، ١٦٢، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٦،٢٦١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٦، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٥٠، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٦٥.

- تفسير محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) (التحرير والتنوير)1.
- تفسير الطبرسي، أبي علي الفصل بن الحسن (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) (مجمع البيان)2 (شيعي).
- تفسير الطبري: محمد بن جرير (ت٣٠٥هـ/٩١٧م) (جامع البيان في تفسير القرآن)3.
- تفسير طنطاوي جوهري (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) (تفسير الجواهر)4.
- تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت٦٨هـ/٦٨٧م)، (صحيفة علي بن أبي طلحة)5.
- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق هاشم المحلاتي (شيعي)6.
- تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٥٥٨هـ/١١٦٢م) (الجامع لأحكام القرآن)7.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م) (التفسير القيم)8.
- تفسير ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧١م) (تفسير القرآن العظيم)9.
- تفسير جزء عمّ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)10.

---

[1] المصدر نفسه: ٣٤٤، ٣٦٠، وغيرها.

[2] المصدر نفسه: ٤٠، ٨٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٤٧٤، ٤٩٧، ٥٠٩، ٥١١، ٥٣١، ٥٧٩.

[3] المصدر نفسه: ١٨، ٣٧، ٤٨، ٧٤، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ١٢٦، ١٧٤، ٢٦٢، ٤٢٤، ٥٣٨، ٥٩٣

[4] المصدر نفسه: ٢١٠، ٢١٢، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٨١، ٣٦٩.

[5] المصدر نفسه: ٥٩٤.

[6] المصدر نفسه: ١٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٤، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٢٦، ٢٧٦، ٣١٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٢٠، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٥.

[7] المصدر نفسه: ٤٩، ٥٥، ٥٧٦، ٥٧٧.

[8] المصدر نفسه: ٢٩، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩٥، ١٠٣، ١١٧، ١٢١، ١٣٦، ١٥١، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٩، ٣٨٧، ٤٢٦.

[9] المصدر نفسه: ١١٢، ١٥٤، ١٩٣، ١٩٤، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٣، ٣٨٥، ٣٩٨، ٤٧٠، ٤٩٣، ٥٢٤.

[10] المصدر نفسه: ٢٩، ٩٠، ٩٤، ١٢٩، ١٥٠.

٢- كتب علوم القرآن وما يتعلق به:

(الانتصاف على الكشاف) لأحمد بن المنير الإسكندري1؛ (ترتيب السور الكريمة وتناسقها) موسى جار الله2؛ (تناسق الدرر في تناسب السور) للإمام السيوطي3؛ (الحلية) لأبي نعيم الأصفهاني4؛ (فنون الأفنان) لابن الجوزي 5؛ (معاني القرآن) للزجّاج6؛ (معاني القرآن) للفراء7؛ (مناهل العرفان) للشيخ محمد الزرقاني8؛ (نوادر الأصول) لابن الأثير9.

ثانياً: مصادره في السنة وعلومها:

(الجامع المختصر الصحيح) للإمام البخاري10؛ (الجامع) للإمام مسلم القشيري11؛ (السنن) لأبي داود12؛ (السنن) للترمذي13؛ (السنن) للنسائي14؛ (السنن) لابن ماجه15؛ (السنن) للبيهقي16؛ (الصحيح) لابن حبان17؛ (الموطأ) للإمام مالك18؛ (المسند) للإمام أحمد19؛ (المسند) لأبي يعلى الموصلي20؛ (المعجم الأوسط) للطبراني21.

---

[١] الشيخ الصواف، **التفسير**: ١٤٢.

[٢] المصدر نفسه: ٧٩، ١٦٦، ٢١٣، ٢٨٣، ٣٦٠، ٤٧٤، ٥٢٠، ٥٣٢.

[٣] المصدر نفسه: ٢٨٣.

[٤] المصدر نفسه: ٥٤٠.

[٥] المصدر نفسه: ٢٠-٢٢.

[٦] المصدر نفسه: ٥٣٠.

[٧] المصدر نفسه: ١٣٨، ١٦٤، ٢٣٤، ٣٧٢.

[٨] المصدر نفسه: ٢٦.

[٩] المصدر نفسه: ٣٧٥.

[١٠] المصدر نفسه: ٢٩، ٤٣، ٤٤، ٥٦، ١٣٧، ٢٧٣، ٢٨٤، ٣٥٤، ٤١٧، ٤١٨، ٤٦٣، ٥٥٢، ٥٣٢، ٥٤٠، ٥٥٥، ٥٦٩، ٥٧٢.

[١١] المصدر نفسه: ٢٩، ٤٣، ٤٤، ١٣٧، ٢٤٨، ٢٥٨، ٣٣٣، ٣٧٥، ٤١٧، ٤١٨، ٤٦٢، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٥٥، ٥٦٣، ٥٧٢.

[١٢] المصدر نفسه: ١٢، ٤٨٠، ٥٢٠.

[١٣] المصدر نفسه: ١٣، ٥٢٠، ٩٣، ٤٢٤.

[١٤] الشيخ الصواف، التفسير ١٤، ١٠٢، ١٦٤، ٢٣٢، ٣٧١، ٤٨٣، ٥٢٣، ٥٦٤، ٥٧٠، ٥٧٨.:

[١٥] المصدر نفسه: ٣٧، ٤٠٩، ٤٨٠، ٥٢٠.

[١٦] المصدر نفسه: ٩٨.

[١٧] المصدر نفسه: ٤٨٠.

[١٨] المصدر نفسه: ٤١٥.

[١٩] المصدر نفسه: ٢٣، ٢٩، ٣١، ٣٨، ٩٣، ١٠٣، ١١٤، ١٣٣، ١٤٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٦١، ٤١٧، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٥٦، ٥٦٤.

[٢٠] المصدر نفسه: ٩٢، ٥٦٤.

[٢١] المصدر نفسه: ٥٣، ٥٤٣، ٥٦٣.

ثالثاً: مصادر أخرى:

(إحياء علوم الدين) للإمام أبي حامد الغزالي1؛ (تاريخ دمشق) لابن عساكر2؛ (السيرة النبوية) لابن هشام3؛ (التذكير بنعمة الله)4؛ (الكامل) للمبرد5؛ (مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين) لابن القيم6.

المبحث الثالث: تفسير الصواف تحليل وتقويم

مدخل:

في هذا المدخل سنتكلم عن طريقة تفسير وتحليل بعض القضايا التي وردت في تفسيره، فضلاً عن تقويم بعض المسائل التي عالجها.

أولاً: طريقة تفسير الشيخ الصواف وخصائصها:

١- التركيز على قضية محورية في تفسيره وهي القضية الدعوية: وكانت طريقته تتصف بالشمول، والوضوح، وبساطة العبارة التي لا يدخل فيها المفسر في التعقيدات الخلافية، ولا التفصيلات المملة التي تخرج التفسير عن غايته، ولكنه كان يركز على فكرة أساسية في تفسيره، وهي الدعوة إلى الله في أهميتها في الإصلاح بأنواعه: الفكري والأخلاقي والاجتماعي والسياسي، بل نص على ذلك في مقدمته كما ذكرنا.

٢- ترتيب التفسير وخطته:

وقد كان الشيخ الصواف موضوعياً في خطة بحثه، فقد قسم تفسيره إلى:

أ- المقدمة: وهي مقدمتان: الأولى عامة7. والثانية خاصة بالتفسير8، وذكر الأسباب والأهداف التي دعته لكتابة تفسره، ثم أن القرآن هو منطلق الإصلاح؛ لأنه كتاب الله، والأمة

[1] المصدر نفسه: ٥٦.
[2] المصدر نفسه: ٤٦٣.
[3] المصدر نفسه: ١١٥.
[4] المصدر نفسه: ٥١٩.
[5] المصدر نفسه: ١٣٩، ٢٠٦.
[6] المصدر نفسه: ٥٥.
[7] الشيخ الصواف، **التفسير**: ٧ – ١٢.
[8] المصدر نفسه: ١٣ – ٢٥.

بحاجة إلى أن ترتبط به كما كانت في كل زمان، فحاجة المجتمع العراقي خاصة والمجتمع الإسلامي عامة.

- فبين أوصاف القرآن وفضائله، وأعطى تعاريف متنوعة للقرآن تستوعب أنواع المدعوين.
- وذكر الأدلة على عظمة القرآن وفضائله بشهادة قريش وشهادة المصطفى ﷺ، وأن القرآن هو رافع راية العلم والحضارة، ثم عقد مقارنة بين خطاب الله للأنبياء وأممهم، وتميز خطاب الله سبحانه وتعالى لمحمد ﷺ وأمته، ونقل لنا ذلك من كتاب ابن الجوزي.

ب- تفسير الفاتحة: ويستفتح بفضائلها، ثم بأسمائها، ويعطي المعنى العام، ثم يبدأ بشرح معاني الاستعاذة من الشيطان، وبين بعد ذلك لماذا تبدأ بالبسملة وفضلها، ثم يبدأ بتفسير السورة، ويشرح البسملة، وأسماء الله الحسنى فيها: الله، الرحمن، الرحيم، الرب، الملك، ثم يستمر في التفسير آية آية إلى آخرها، ثم يستخرج ثلاث فوائد عامة في التعامل مع سورة الفاتحة.

جـ- تفسير جزء عمّ: وبدأ بعد ذلك بتفسير جزء عمّ سورة سورة ابتداء من سورة النبأ حتى سورة الناس.

٣- طريقة التفسير:

وأما طريقة تفسيره لجزء عمّ فلم يسر فيها على نسق واحد، فالسور من سورة النبأ إلى سورة الناس، فبذكر المعلومات الآتية قبل بداية السورة:

- مكان النزول هل هي مكية أو مدنية.
- يذكر عدد آياتها.
- يذكر أسمائها الأخرى التي سميت بها قبل أن يبدأ بتفسير السورة.

وتفاوت هذه المعلومات بحسب خصوصية كل سورة:

- فأما مكان النُّزول وبعد أي سورة نزلت فقد ذكره في السور الآتية: النبأ، النازعات، عبس، التكوير، المطففين، الطارق، الأعلى، الغاشية، القمر،البلد، الشمس، الليل، الضحى، التين، العلق، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، التكاثر.
- وأما السور التي ذكرت لها أسماء فهي: الفاتحة، النبأ، النازعات.

– وبعد متن السورة يضع عناوين فرعية لكل سورة، ولم يتبع نسقاً واحداً بذلك، فبعض السور يقسمها كالآتي: مناسبة السورة لما قبلها. التفسير. والسور التي سار الشيخ فيها على هذا النسق هي: البروج، الطارق، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الانشراح، التين، العلق، القدر، قريش، الفلق، الناس.

– وبعض السور يذكر المناسبة، وسبب النزول والتفسير وهي: النبأ، النازعات، عبس، المطففين، الليل، الضحى، البينة، العاديات، التكاثر، الهمزة، الفيل، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد.

– وبعض السور فسرها تفسيراً موضوعياً خاصاً: سورة العصر حيث إن لها خصوصية في فضلها، وأنها تجمع معاني القرآن، وأنها معجزة القرآن، وهنا تجمع عناصر الدعوة كلها.

– سورة الماعون لأنها تتضمن قضايا اجتماعية، وبخاصة عن الجانب الخيري في كفالة اليتيم ومعاملته وما يتعلق بذلك.

ثانياً: يجمع بين المناسبة والتفسير الموضوعي:

قلنا: إن الشيخ الصواف استهدف إثبات كون أن القرآن مترابط من أوله إلى آخره، وقد دلّ عنوان التفسير على ذلك (فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن)، فأراد أن يثبت الوحدة الموضوعية بين أول القرآن وآخره، وكما عبر عنه بأن الكتاب الذي أنزله الله الواحد "فإن ما بين دفتيه شيء واحد، يرتبط كل حرف فيه بالذي قبله ارتباط الروح بالجسد، وأنه كالعقد المنضد، ترتبط كل كلمة منه بالتي قبلها والتي بعدها ارتباط اليد بمعصمها"[1]. وقد بينا ذلك، فلذلك نراه قد ربط بين كل سور جزء عمّ بمناسبات: منها ما كان منقولاً عن غيره، ومنها ما كان اجتهاداً منه. ومنها ما كان يضيف عليه أو يوسع في شرحه وما يتناسب مع فهم المخاطبين، فلذلك وظّف الشيخ الصواف أنواع التفسير: الوحدة الموضوعية، والموضوع الأساسي الذي جعله موضوع القرآن، وهو الإسلام كدعوة مصدرها القرآن، وأنه تضمن موضوعها ومناهجها ورسائلها وآدابها ومستلزماتها، وانعكاساتها على الفرد والمجتمع.

ثالثاً: جمع كل التفاسير والنقل عنها بجميع مناهجها واختلاف عقائد مؤلفيها:

فنقل عن تفاسير أهل السنة وهو الذي يدين بعقيدتهم، كالطبري، وابن كثير وابن قيم الجوزية، وابن الجوزي، والقرطبي.

[1] الشيخ الصواف: **التفسير**: ٥٨٥.

ونقل عن المعتزلة، وعلى رأسهم الزمخشري، وعن الشيعة كالطبرسي والعياشي.

ونقل عن المدرسة العقلية الاجتماعية، وروادها الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والشيخ أحمد مصطفى المراغي.

ونقل عن المدرسة الدعوية، وعميدها الشيخ حسن البنا في منهجيته التي أخذها عنه شفاهاً، وتبنَّاها فكراً وروحاً، ولم نجد نقولاً؛ لأن تراث الشيخ البنا التفسيري كان مبعثراً في بطون الصحف والمجلات، وأغلبها في وقت الأستاذ الصواف كان في حكم المفقود، أو لا تعرف مظانه للظروف السياسية التي مرت بها الجماعة التي ينتمي إليها الشيخ الصواف، ونجده يكثر من النقل عن سيد قطب في ظلاله، وفي كثير من المواضع كان يدعو له بفك أسره عندما كان مسجوناً، ويدعو له بالرحمة بعد إعدامه رحمه الله.

وقد نقده بعض من الكتاب في الإنترنت بأنه ينقل عن المبتدعة، ولكن الفكرة التي انطلق منها الشيخ الصواف، والتي هي منهجية بحث وعمل في منهجه الدعوي، [فالحكمة ضالة المؤمن، فهو أحق بها من أي إناءٍ خرجت]، والدعوة إلى وحدتها، وبخاصة والأستاذ الصواف كان يلقي أحاديثه في التفسير في إذاعة بغداد، فهو يريد خطاب الأمة بكل أطيافها، وبخاصة الشيعة ليتعاونوا معهم ضد إلحاد الشيوعية، فكان حديثه يتضمن النقل من مصادرهم التي أثنى عليها بعض المفسرين وبخاصة الطبرسي والعياشي، فهم من أشهر مفسريهم وأقلهم لا مغالاة، ثم إنه لم ينقل ما يتعارض مع عقيدة أو حكم، وإنما بعض اللفتات اللغوية والتفسيرية.

وكان يستشهد بنقول عن أئمة أهل البيت، مثل سيدنا علي والحسن وعلي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق – ﷺ –، فهذه منهجية دعوية كان يمارسها قولاً وعملاً، وذلك قبل (١٩٥٩م) قيام الحكم الجمهوري الذي حرك البواعث الطائفية بعد ذلك، واستغلت الطائفية سياسياً، ثم إن في منهجية الصواف الدعوية عدم تجريم الأشخاص والهيئات، فكان يلتزم بهذه القاعدة التي قالها الإمام الشافعي، والتي نقلها رشيد رضا حيث سميت (قاعدة المنار)، وعملت بها المدرسة الدعوية، وجعلها الشيخ حسن البنّا أحد خصائص دعوته التي يعد الصواف أحد روادها.

رابعاً: تعامله مع مصادر السنة:

ذكرنا في مصادر الشيخ الصواف في تفسيره أمهات كتب السنة التي كانت معلماً في تفسيره، وكثرة نقوله دليل على ذلك، وبخاصة الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد، فضلاً

عن كتب التفسير بالمأثور والتي تهتم بالأحاديث، وكان الشيخ الصواف يراعي عزو الحديث إلى مصادره، ويذكر درجة صحته فيقول: "ذكره ابن كثير وضعفه"، "لم يرد في الصحيح"، "وردت بعض الأخيار وإن لم تعرف في صحيحها"[1].

وقد أورد الشيخ الصواف بعض الأحاديث الضعيفة، وبعض الإسرائيليات، وهو لم ينص عليها، وخاصة ما يتعلق منها بقصص الأنبياء.

وهذه المسألة الأولى أن تفسر في إطارها: فالمعلوم أن الأخبار الإسرائيلية منها ما هو مسكوت عنها، لا نصدقها ولا نكذبها، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم عليها. والمعلوم أن الأستاذ الصواف كان تفسيره في الأصل خطاباً عاماً في الإذاعة وليس في حلقة علمية، وتفسيره عموماً موجه للشباب كما ذَكَر. ولكي يكون الحديث مؤثراً فإنه يحتاج إلى القصص التي تجذب السامع فيلتقط المعلومة، فضلاً عن الأثر النفسي والسلوكي للقصة، فلذلك كان ينقل الأحاديث الضعيفة أو الأخبار الإسرائيلية التي لا تتعارض مع الأصول العامة وذكرها المفسرون.

ولكن أظن أنه لو تيسرت له الفرصة في تخريج أحاديثه ونُقوله لفعل ذلك، ولكن ضيق وقت الشيخ وتعجله في نشر الكتاب قبل وفاته ارتضاه على ما هو عليه، وعندي أنه لا عيب عليه، ولا يجعلنا نخرج الرجل لأمر سبق به كثير من المفسرين كابن القيم وابن الجوزي وابن كثير وغيرهم.

خامساً: الربط بين الأمور الغيبية والآيات الكونية:

كان الشيخ الصواف يستخدم التفسير العلمي في هذا الربط، وكان من أهم مصادره القديمة (تفسير الرازي)[2]. وأما التفاسير الحديثة مثل (تفسير الجواهر) للشيخ طنطاوي جوهري[3]، و(في ظلال القرآن) للشهيد السيد قطب[4] فكان الصواف يذكر آراءه في ذلك[5].

سادساً: ذكر بعض الأحكام الفقهية دون توسع:

كان الشيخ الصواف يذكر بعض الأحكام الفقهية، ومما يخدم أهدافه الدعوية في التفسير[6] مثل الإصلاح الأسري والاجتماعي، والمسائل الفقهية مثل: زيارة القبور، والسهو في الصلاة،

[1] الشيخ الصواف: **التفسير**: ٦٨٥.
[2] المصدر نفسه: ١٥٦.
[3] المصدر نفسه: ٢١٠، ٢١٢، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٩٦، ٤٧٤، ٥٢٠.
[4] المصدر نفسه: ١٢٧، ١٣٠، ١٣٧، ٢٠١، ٢٤١، ٢٥١، ٣٤٦، ٤٤٠.
[5] المصدر نفسه: ١٥٧، ٢٣٩، ٢٨٧، ٣٢٩، ٣٤٥.
[6] المصدر نفسه: ٣٨٨، ٤٦١، ٥٢٤.

وحكم الاستعاذة1.

سابعاً: تناول بعض القضايا العقدية من خلال مذهب أهل السنة والجماعة:

تناول الشيخ الصواف بعض قضايا العقيدة من خلال مذهب أهل السنة والجماعة2 مثل المفاضلة بين الأنبياء، أو بين الأنبياء والملائكة، ورَدَّ على المعتزلة. فإن الرسول ﷺ نهى المسلمين عن التفضيل بين الأنبياء: «لا تفضِّلوني على يونس بن متى»، وخطأ الزمخشري بقوله في تفضيل الملائكة على الأنبياء.

ثامناً: آراؤه في القضايا المتعددة:

تظهر شخصية الصواف العلمية في تعامله مع الأفكار والآراء الشخصية، لها ترجيحاتها واختياراتها في الأبواب الفقهية والدعوية والتفسيرية وقد دون في طيّات حديثه عبارات: "وقد أخطأ"3، "وهنا ملاحظة"4، "والخلاصة"5، "وخلاصة المعنى"6 و"ويصدق قولي هذا قول..."7.

تاسعاً: إسناد الأقوال إلى أصحابها:

فيذكر المصادر التي يأخذ منها، ويذكر الجزء والصفحة. وتلك فضيلة، يقول ابن عبد البر القرطبي: "من بركة العلم إسناد القول إلى قائله".

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذه الرحلة المختصرة مع عَلَمٍ من أعلام الإسلام في هذا العصر، في رحلة الثمانين سنة – التي كانت تعج بالأحداث، والحركة المستمرة في خدمة هذا الدين؛ والأمة الإسلامية بخاصة، والإنسانية بعامة – فارساً في كل ميادين البناء والإصلاح والتطوير، طامعاً في أن يصنع الحياة بمنهج الله، خالق الحياة والإنسان.

---

[1] المصدر نفسه: ٣١.

[2] المصدر نفسه: ١٤٢، ١٦٠، ٥٦٥، ٥٦٦.

[3] المصدر نفسه: ١٤٢.

[4] المصدر نفسه: ١١٤.

[5] المصدر نفسه: ٤٩٢.

[6] المصدر نفسه: ٩٣.

[7] المصدر نفسه: ١٠٧، ٢٠٥.

وقد عرَّف البحث بالشيخ الصواف، وكشف عن شعاع من إسهاماته في جانب مهم، وهو إسهامه في الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي بعامة، وعلم التفسير بخاصة، من خلال دراسة تفسيره (فاتحة القران وجزء عمّ الخاتم للقران تفسير وبيان) كان معبراً فيه عن منهجه لصناعة الحياة من خلال كتاب الله، فقد استخدم مصادر متنوعة ذكرها، ومنها ما استنبطها من خلال دراساته وخبراته المتراكمة، وتوظيفه لمناهج متعددة في دراسته للقرآن، فخرج لنا هذا التفسير بعد طول معاناة.

النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث فهي:

١- الشيخ محمد محمود الصواف الطائي جمال الدين يحتاج إلى دراسات أكاديمية متنوعة في جوانب نشاطه في التفسير، وفي الدعوة والقيادة، والسياسة، والإصلاح الاجتماعي، والإبداع، والجهاد، والخطابة، فهو من خطباء العصر، والعمل الخيري والاجتماعي.

٢- إنه شخصية قيادية متميزة في أدائها ومحاوراتها السياسية.

٣- إنه عَمُود من أعمدة المدرسة الدعوية والحركية في التفسير، وهي مدرسة حية ومعطاءة؛ لأنها مدرسة منهج، وليست مدرسة شخصية.

٤- إن تفسيره يغلب عليه المنهج الموضوعي.

٥- أثبت الشيخ الصواف التناسب القرآني بين فاتحته وخاتمته، فهو حلقة متصلة، ووحدة واحدة، فهو كتاب واحد، من رب واحد.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.